المعجزة السادسة

شفاء المفلوج

1ثُمَّ دَخَلَ كَفْرَنَاحُومَ أَيْضاً بَعْدَ أَيَّامٍ فَسُمِعَ أَنَّهُ فِي بَيْتٍ. 2وَلِلْوَقْتِ اجْتَمَعَ كَثِيرُونَ حَتَّى لَمْ يَعُدْ يَسَعُ وَلاَ مَا حَوْلَ الْبَابِ. فَكَانَ يُخَاطِبُهُمْ بِالْكَلِمَةِ. 3وَجَاءُوا إِلَيْهِ مُقَدِّمِينَ مَفْلُوجاً يَحْمِلُهُ أَرْبَعَةٌ. 4وَإِذْ لَمْ يَقْدِرُوا أَنْ يَقْتَرِبُوا إِلَيْهِ مِنْ أَجْلِ الْجَمْعِ كَشَفُوا السَّقْفَ حَيْثُ كَانَ. وَبَعْدَ مَا نَقَبُوهُ دَلَّوُا السَّرِيرَ الَّذِي كَانَ الْمَفْلُوجُ مُضْطَجِعاً عَلَيْهِ. 5فَلَمَّا رَأَى يَسُوعُ إِيمَانَهُمْ قَالَ لِلْمَفْلُوجِ: «يَا بُنَيَّ، مَغْفُورَةٌ لَكَ خَطَايَاكَ». 6وَكَانَ قَوْمٌ مِنَ الْكَتَبَةِ هُنَاكَ جَالِسِينَ يُفَكِّرُونَ فِي قُلُوبِهِمْ: 7«لِمَاذَا يَتَكَلَّمُ هَذَا هَكَذَا بِتَجَادِيفَ؟ مَنْ يَقْدِرُ أَنْ يَغْفِرَ خَطَايَا إِلاَّ اللَّهُ وَحْدَهُ؟» 8فَلِلْوَقْتِ شَعَرَ يَسُوعُ بِرُوحِهِ أَنَّهُمْ يُفَكِّرُونَ هَكَذَا فِي أَنْفُسِهِمْ فَقَالَ لَهُمْ: «لِمَاذَا تُفَكِّرُونَ بِهَذَا فِي قُلُوبِكُمْ؟ 9أَيُّمَا أَيْسَرُ: أَنْ يُقَالَ لِلْمَفْلُوجِ مَغْفُورَةٌ لَكَ خَطَايَاكَ أَمْ أَنْ يُقَالَ: قُمْ وَاحْمِلْ سَرِيرَكَ وَامْشِ؟ 10وَلَكِنْ لِكَيْ تَعْلَمُوا أَنَّ لابْنِ الإِنْسَانِ سُلْطَاناً عَلَى الأَرْضِ أَنْ يَغْفِرَ الْخَطَايَا» – قَالَ لِلْمَفْلُوجِ: 11«لَكَ أَقُولُ قُمْ وَاحْمِلْ سَرِيرَكَ وَاذْهَبْ إِلَى بَيْتِكَ». 12فَقَامَ لِلْوَقْتِ وَحَمَلَ السَّرِيرَ وَخَرَجَ قُدَّامَ الْكُلِّ حَتَّى بُهِتَ الْجَمِيعُ وَمَجَّدُوا اللَّهَ قَائِلِينَ: «مَا رَأَيْنَا مِثْلَ هَذَا قَطُّ!» (مرقس 2: 1–12).

(وردت هذه المعجزة أيضاً في متى 9: 1–8 ولوقا 5: 17–26)

هذه هي المعجزة السادسة التي أجراها السيد المسيح بحسب الترتيب التاريخي الذي يعتقده معظم المفسرين، وهي معجزة شفاء المشلول الذي أنزلوه من السقف إلى حيث كان المسيح يجلس. جرت هذه المعجزة في كفرناحوم، وغالباً في بيت بطرس في كفرناحوم. لقد وُلد المسيح في بيت لحم، وتربى في الناصرة، لكنها رفضته، فانتقل ليسكن في بيت تلميذه بطرس. وما أعظم البركات التي نالها ذلك البيت الذي استضاف المسيح، ولكن في الوقت نفسه ما أكبر الثمن الذي دفعه بطرس وأسرته لما فتح بيته للمسيح! لقد صار البيت محل خدمة عامة: صار مدرسة، ومستشفى، وكنيسة!

عندما شفى المسيح الأبرص، أمره ألا يخبر أحداً. ولم يستجب الأبرص المشفي لأمر المسيح، بل خرج يُعلن في كل مكان أن المسيح شفاه. وكانت نتيجة هذا الإعلان الذي نبع من امتنان الأبرص لطبيبه أن الناس جاءوا إلى حيث يقيم المسيح. وبلغت أخبار تعاليم المسيح ومعجزاته أسماع شيوخ اليهود في أورشليم، فأرسلوا مجموعة من الكتبة ليراقبوا المسيح ويكتبوا تقريراً عنه: من هو؟ هل هو ساحر؟ هل بقوة الشيطان يخرج الشياطين؟.. من يكون؟ وامتلأ بيت بطرس بالكتبة والأصدقاء والمحتاجين، والتلاميذ. كان هناك مؤيدون للمسيح، كما كان هناك معارضون له. ولذلك فإن معجزة شفاء المشلول تُرينا مجموعة كبيرة من الشخصيات التي نتأملها، سواء كانوا من محبي الاستطلاع، أو من المقاومين. ثم نتأمل المحتاج والمعجزة، ونختم بالتأمل في المسيح والمعجزة.

أولاً: المؤمنون والمعجزة

1- سمعان بطرس، صاحب البيت:

أعطى بيته للرب، فباركه الرب وشفى حماته. لكن قليلاً ما نجلس لنفكر في البيت الذي ينفتح لخدمة المسيح. كان البيت مليئاً بالضيوف، حتى لم يجد بطرس فرصة الانفراد بأسرته. ويوم شفاء المشلول جاءت جماعة تحمل المريض ونقبت السقف. ولا بد أن بطرس وأفراد أسرته كانوا في تركيز وانتباه لتعليم المسيح، ولكنهم اضطروا أن يرفعوا رؤوسهم إلى سقف بيتهم الذي يُنقب! وها هو فراش ينزل من فوقهم يرقد فيه رجل!

هناك دوماً تكلفة لاتِّباع المسيح. صحيح أن اتّباعه بهجةٌ وفرح، ولكن له ثمناً يكون أحياناً كبيراً! نظر بطرس إلى السقف المنقوب، والتراب المتساقط منه. وها هو مشلول لا يعرفه يصبح ضيفاً عليه، هبط من السقف لأنه لم يقدر أن يدخل البيت من بابه! ولا بد أن بطرس كان سعيداً بالرغم من هذا كله. يقول النبي إشعياء: «عَلَى أَسْوَارِكِ يَا أُورُشَلِيمُ أَقَمْتُ حُرَّاساً لاَ يَسْكُتُونَ كُلَّ النَّهَارِ وَكُلَّ اللَّيْلِ عَلَى الدَّوَامِ» (إشعياء 62: 6). هل فكرنا في هؤلاء الحراس؟ إنهم دوماً يخدمون الذين على الهامش. والحراس لا يستطيعون الدخول إلى عمق المدينة بل يبقون عند الأسوار وعند الباب ليجتذبوا البعيدين الذين يريدون أن يقتربوا ليدخلوا، وليحافظوا على الهامشيين الذين يريدون أن يخرجوا، ليبقوا. إن هؤلاء لا يسكتون كل النهار وكل الليل على الدوام. هذا كان بيت بطرس المفتوح للمسيح على الدوام نهاراً وليلاً.

لو أن المسيح كلَّفنا أن نفتح بيتنا له، هل سنفعل ما فعله بطرس؟

وما أعظم فرحة بطرس لما خرج الضيف المشلول من بيته صحيحاً يحمل سريره! لقد نجح مستشفى بطرس الذي يديره الطبيب يسوع!

2- الحاملون الأربعة، أصدقاء المفلوج:

(أ) قرر الأربعة أن يحملوا مريضهم وحبيبهم إلى حيث يلتقي بالطبيب الشافي، فحملوه إليه. هؤلاء رجال محبُّون، يضحُّون من أجل محبتهم، ولا يكتفون بالتمنيات الحسنة. كما أنهم مؤمنون بقوة المسيح القادر على الشفاء. ثم أنهم مُصِرون على ما يفعلون لشدة اقتناعهم به. ولما لم يقدروا أن يصِلوا بالمريض إلى المسيح من الباب بسبب الزحام، كان يمكن أن يعتذروا للمريض ويقولون: «حملناك إلى هنا، وتستطيع أن ترى بعينيك أننا فعلنا كل ما استطعنا، بلا فائدة!». لكنهم كانوا مصرِّين أن يوصلوا المريض للمسيح.

(ب) ثم أنهم كانوا خلاقين، فالصعوبة تجعل الشخص خلاقاً. فبسبب إصرارهم على توصيل الرجل للمسيح، فكروا في طريقة جريئة غريبة توصلهم! قرروا أن يصعدوا السلالم الخارجية إلى سطح البيت. وكانت البيوت في فلسطين في أغلب الأحيان عبارة عن بهو كبير حوله غُرف، وهناك سُلّم خارجي يوصل إلى العلية التي هي غرفة الضيوف على السطح.. حمل الرجال الأربعة المفلوج على السلالم الخارجية إلى السطح، وعندما نظروا إلى البهو لم يكن المسيح جالساً فيه، فقد جلس تحت مكان مسقوف، فقرروا أن ينقبوا السقف ليُنزلوا المشلول أمام المسيح مباشرة. كانت بعض الأسقف من الطوب المعشَّق الذي يمكن أن يُرفع ثم يُعاد إلى مكانه. وبدأ الحاملون الأربعة ينزعون من الطوب المعشق مساحة تكفي لنزول سرير الرجل المريض.

نحن مدينون لهؤلاء الحاملين الأربعة لأنهم يعلِّموننا درساً عظيماً، وهو أن الذين يجيئون بالناس إلى المسيح المخلِّص يجب أن يكونوا مُحبين، فاعلين لا يكتفون بمحبة الكلام، خلاقين، مصرّين، مضحّين.

(ج) ولكن هناك صفة أخرى كانت لازمة للحاملين الأربعة. كان لا بد أن يكونوا متعاونين معاً لينزل سرير المفلوج باتزان دون أن يقع المشلول منه. لو استعجل أحدهم ولم تتوافق سرعة إنزاله للسرير مع سرعة الثلاثة الآخرين، لوقع المفلوج وتكسرت عظامه، ولأصبح على المسيح أن يُجري معجزتين للرجل الواحد:

شفاء الشلل، وشفاء الكسور. هؤلاء الأربعة يعلموننا كيف يجب أن نتعاون كأعضاء كنيسة، وكمجموعة كنائس.

هناك حلم في قلب كل الذين يحبون المسيح، وهو تعاون الطوائف المسيحية لخدمة عالمنا ولخدمة النفوس. ولما كان هذا الحلم أكبر جداً من أن نتصور تحقيقه، نقول إن كنائس الطائفة الواحدة تتعاون معاً. ولكن يبدو أن هذا أيضاً حلم صعب التحقيق، فنرجو أن الكنيسة المحلية باجتماعاتها المختلفة تتعاون معاً. وأحياناً لا يتحقق هذا الحلم أيضاً، فنكتفي بأن نطلب من الله أن يجعل الاجتماع الواحد متعاوناً في محبة. وربما كان الاجتماع الواحد في الكنيسة الواحدة يحتاج إلى محبة! إذاً لنبدأ من البدء، ولنطلب سلام الله في داخلنا فلا تكون هناك حرب أهلية بين الإنسان وبين نفسه. وعندما يجد الإنسان سلامه الداخلي مع نفسه يجد سلامه مع عائلته، ثم مع الاجتماع الذي ينتمي إليه، ثم مع الكنيسة كلها التي يصلي فيها، ثم مع الطائفة التي تنتمي إليها هذه الكنيسة، ثم إلى مجموعة الطوائف المسيحية في العالم كله.

(د) كان الحاملون الأربعة متعاونين للغاية، فقاموا بوظيفتهم التي انتهت بالنهاية السعيدة: أن المسيح شفى المفلوج. حملوا المفلوج بحب، وتسلقوا به إلى السطح بإيمان، ونقبوا السقف بجسارة، وأنزلوا المفلوج واثقين في محبة المسيح. وهنا انتهى دورهم فصمتوا أمام المسيح انتظاراً. كانت طلبتهم من المسيح طلبة عملية ملموسة. لم تكن مكتوبة بحبرٍ على ورق، لكنها كانت إنساناً حياً يحمله سرير مربوط من أطرافه الأربعة بأربعة حبال، يقول للمسيح: «اللهمَّ ارحمني!».

(هـ) وأعتقد أن هناك شيئاً قام به الحاملون الأربعة غير مذكور في القصة: هو أنهم غالباً أعادوا سقف بيت بطرس إلى ما كان عليه قبل نقبه، لأنهم كانوا يملكون من المحبة ما جعلهم ينقبون السقف، وأعتقد أن لديهم من الأمانة ما جعلهم يُرجعون السقف المنقوب إلى حالته الأولى.

ثانياً: المشاهدون والمعجزة

1- الكتبة:

جاءوا من أورشليم ليستطلعوا من هو المسيح: هل هو المخلِّص الآتي، أم هل هو ساحر كذاب؟ وعندما رأى المسيح المفلوج، ورأى إيمان الرجال الأربعة، بدأ بأن قال: «يَا بُنَيَّ، مَغْفُورَةٌ لَكَ خَطَايَاكَ». وفكر الكتبة في قلوبهم قائلين: «لِمَاذَا يَتَكَلَّمُ هَذَا هَكَذَا بِتَجَادِيفَ؟ مَنْ يَقْدِرُ أَنْ يَغْفِرَ خَطَايَا إِلاَّ اللَّهُ وَحْدَهُ؟». كان الكتبة يمتلكون المعرفة، حتى أنهم كانوا يعرفون عدد حروف «الألف» مثلاً في التوراة العبرية. كانوا يعرفون كتابهم المقدس معرفة كاملة، ولكن قلوبهم كانت خالية من النعمة! اتهموا المسيح أنه مجدِّف. وكلمة «مجدف» معناها الافتراء على الناس (1كورنثوس 4: 13)، لكنها في النصوص الكتابية تُطلق على الشخص الذي يأخذ المجد الذي يحقُّ للرب وحده. فالمجد في مغفرة الخطية يحق لله وحده. وها هو المسيح يقول: «مَغْفُورَةٌ لَكَ خَطَايَاك». إذاً أخذ المسيح مجداً هو مجد الرب، فقالوا إنه يتكلم بتجاديف! ونحن نعلم أن المسيح عندما ساوى نفسه بالله لم يفعل ذلك اختلاساً (فيلبي 2: 6).

2- ضيوف بيت بطرس:

بُهتوا ومجدوا الله قائلين: «مَا رَأَيْنَا مِثْلَ هَذَا قَطُّ!». بُهتوا وانذهلوا كأطفال. نحتاج أن نرجع إلى روح الطفل ونحن نتعامل مع المسيح، فننبهر من عمل النعمة. تعوَّدنا أن نتلو الصلاة الربانية بدون تفكير في معانيها. وتعوَّدنا أن نتناول من مائدة العشاء الرباني كعادة روتينية. ليعطنا الرب الانبهار، فلا نتناول بطريقة روتينية، ولا نصلي كلمات تعوَّدناها فلم تعُد تحرك قلوبنا!

وفي انبهارهم مجدوا الله وشكروه، فقد جازوا اختباراً روحياً خاصاً ملأهم بمشاعر التوقير للمسيح. ونحن عندما نجوز في اختبار كهذا نرتل التراتيل القديمة المعروفة بروح جديدة، وننفعل مع المعلومات القديمة بطريقة جديدة. الكلمات هي نفسها، لكن المرنم ليس هو نفس المرنم، فقد تغيَّر وصار إنساناً جديداً. سمعوا المسيح يقول: «لِكَيْ تَعْلَمُوا أَنَّ لابْنِ الإِنْسَانِ سُلْطَاناً عَلَى الأَرْضِ أَنْ يَغْفِرَ الْخَطَايَا» فعرفوا فيه المسيح، آدم الثاني. آدم الأول ضيَّعنا، وآدم الثاني يردنا إلى نفوسنا، ويرّد نفوسنا إلينا، لأنه يعيد لنا العلاقة السليمة مع الله التي حطمتها الخطية. آدم الثاني هو ابن الإنسان الذي أعاد إلينا مجدنا الأول! «يَا بُنَيَّ، مَغْفُورَةٌ لَكَ خَطَايَاكَ» بفعل كفارة الصليب. فما فقدناه في ممثلنا الأول عاد إلينا في ممثلنا الثاني: السيد المسيح.

ثالثاً: المحتاج والمعجزة

1- كان المحتاج مشلولاً:

عنده حياة ولا يحيا، تدخل أنفاسه إلى صدره ولا تبعث فيه القدرة على القيام ليؤدي عملاً نافعاً. يأكل ويشرب ولا ينتج. ليس عنده أمل في الشفاء.

أليس هذا ما تفعله الخطية؟ ننال بركات الرب، ولكننا لا نخدمه. تدخل أنفاسنا إلى صدورنا، وهي من عند الرب، ولكنها لا تبعث فينا قوة ولا طاقة لنؤدي شيئاً لخدمته. كثيرون شلَّهم الماضي بعُقده ومُركَّبات نقصه ومخاوفه وقلقه ونقص أمنه وتعذيب ضميره، فيقعدون مشلولين، مع أن المسيح يريد أن يطلقهم أحراراً من عبودية الماضي ليعيشوا مستقبلاً جديداً بغير خوف ولا مرض!

2- كان مرضه واضحاً للجميع:

كان ما قاله الرسول بولس يصف حاله: «خَطَايَا بَعْضِ النَّاسِ وَاضِحَةٌ تَتَقَدَّمُ إِلَى الْقَضَاءِ، وَأَمَّا الْبَعْضُ فَتَتْبَعُهُمْ» (1تيموثاوس 5: 24). أي أن بعض الناس خطاياهم واضحة، وخطايا بعضهم مختفية، لكنهم جميعاً خطاة يحتاجون إلى نعمة الله. وكانت خطية هذا الرجل المشلول ومرضه واضحين للجميع.

3- وكان خاطئاً يحس بخطيته ويعرف أنه أخطأ:

وقد شخَّص المسيح طبيب الأجساد والأرواح في ذلك المشلول ما هو أعمق من مرض الجسد، ولما رأى إيمان الحاملين الأربعة، قال للمفلوج: «يَا بُنَيَّ، مَغْفُورَةٌ لَكَ خَطَايَاكَ». في هذه الحالة كانت الخطية سبب الشلل، ولو أنه في حالات أخرى لم يكن المرض نتيجة الخطية، كما قال المسيح عن المولود أعمى: ««لاَ هَذَا أَخْطَأَ وَلاَ أَبَوَاهُ، لَكِنْ لِتَظْهَرَ أَعْمَالُ اللَّهِ فِيهِ» (يوحنا 9: 3). هنا كانت خطية المشلول سبب مرضه، وكان المريض يعلم ذلك. والمسيح لا يعالج الظواهر فقط بل يعالج الأساس أولاً.

4- نال الغفران أولاً، ثم نال شفاء الجسد:

«أَمَرِيضٌ أَحَدٌ بَيْنَكُمْ؟ فَلْيَدْعُ شُيُوخَ الْكَنِيسَةِ فَيُصَلُّوا عَلَيْهِ وَيَدْهَنُوهُ بِزَيْتٍ بِاسْمِ الرَّبِّ، وَصَلاَةُ الإِيمَانِ تَشْفِي الْمَرِيضَ وَالرَّبُّ يُقِيمُهُ، وَإِنْ كَانَ قَدْ فَعَلَ خَطِيَّةً تُغْفَرُ لَهُ» (يعقوب 5: 14، 15). هاتان الآيتان تصفان ما جرى للمشلول الذي شُفي: نال الغفران أولاً، ونال الشفاء ثانياً. كثيرون نعموا بشفاء الجسد من المسيح، لكنهم لم ينالوا غفران الخطية. وبعض الناس اليوم ينالون غفران الخطية ولكنهم يظلون مرضى. ولحكمةٍ عند الرب يفعل معنا ما يراه لصالحنا.

جاء التبرير للمفلوج من كلمة قيلت له، صارت فيه، لأنه آمن بصاحب الكلمة، فنال الشفاء فوراً. كان السرير يحمله فحمل هو سريره، وصارت علامة مرضه برهان صحته وسلامته. والذين رفضوا أن يفسحوا له

الطريق إلى المسيح وهو يحاول الوصول إليه، أفسحوا له طريق الخروج بعد شفائه ليمشي ويعلن: «لقد شفاني». دخل يحمل آثار الخطية وخرج يحمل آثار نعمة الله وبرهان قوته.

رابعاً: المسيح والمعجزة

1- المسيح العارف:

رأى المسيح إيمان الحاملين الأربعة، ورأى خطية المفلوج، فقال له: ««يَا بُنَيَّ، مَغْفُورَةٌ لَكَ خَطَايَاكَ». كانت طلبتهم شفاء الجسد. ولكن الرب رأى أولويةً قبل ذلك هي غفران الخطية، فغفرها.

وفكّر الحاضرون من الكتبة في قلوبهم: «لِمَاذَا يَتَكَلَّمُ هَذَا هَكَذَا بِتَجَادِيفَ؟ مَنْ يَقْدِرُ أَنْ يَغْفِرَ خَطَايَا إِلاَّ اللَّهُ وَحْدَهُ؟». فَلِلْوَقْتِ شَعَرَ يَسُوعُ بِرُوحِهِ أَنَّهُمْ يُفَكِّرُونَ هَكَذَا فِي أَنْفُسِهِمْ». عرف سريرة قلوبهم وما اختبأ بداخلهم. فهو يعرف أسرارنا وما بنا. إن كنت خائفاً هو يعرف ويريد أن يعطيك الاطمئنان. إن كنت قلقاً يريد أن يمنحك السلام. إن كنت غير واثق في محبته فهو يؤكد لك الحب. وإن كنت خاطئاً يكشف خطيتك ليشفيها تماماً كما يفتح الجرَّاح مكان فساد ليستأصله فيسترد المريض الصحة. إنه يعرف ويكشف لأنه يريد أن يداوي ويعالج.

2- المسيح المعلم:

كان الكتبة يعرفون حرف الشريعة دون أن يفهموا روحها، فلم يطبقوها. وفي موقف شفاء المفلوج كان يمكن أن المسيح يكتفي بإسكات تساؤلاتهم الداخلية بإجراء المعجزة، لكنه كمعلم عظيم أراد أن يشرح لهم روح الشريعة. لم يُجر المسيح معجزة للدفاع عن نفسه، ولا لإسكات خصومه، لكنه أجرى المعجزة لأنه يحب البشر. سألهم: «أَيُّمَا أَيْسَرُ: أَنْ يُقَالَ لِلْمَفْلُوجِ مَغْفُورَةٌ لَكَ خَطَايَاكَ أَمْ أَنْ يُقَالَ: قُمْ وَاحْمِلْ سَرِيرَكَ وَامْشِ؟». الاثنان مهمان، ولو أن الحديث أمام الناس عن غفران الخطية سهل، لأن أحداً لا يرى إن كانت الخطية مُحيت من سجلات السماء أو لا زالت باقية. أما شفاء المرض فصعب أمام الناس لأنه يتطلب برهاناً منظوراً فورياً. ثم علَّمهم المسيح أنه يملك الأمرين، فشفى المفلوج وغفر خطاياه.

3- المسيح المحب:

أظهر محبته للكتبة رغم انتقادهم له، ففسَّر لهم ما صعُب عليهم فهمه، ولم يدع انتقادهم له يعطل محبته التي توضح الحق وتشرح الصعب. جلس في بيت بطرس وسمح للجمهور أن يحيط به كل الوقت، حتى لم يتوفر لديه وقت للأكل والراحة. ولما سقط غبار السقف عليه عندما رفعه الحاملون تقبَّل الأمر بمحبة وعطف، واستجاب طلبة الرجال الأربعة الذي حملوا المفلوج إليه. كان عطاء المسيح بغير حدود، للروح وللجسد. كان هذا يكلفه قوة تخرج منه لتشفي، وعمل فداءً يكفّر عن خطايا الخطاة.

4- المسيح صاحب السلطان:

قال المسيح: «دُفِعَ إِلَيَّ كُلُّ سُلْطَانٍ فِي السَّمَاءِ وَعَلَى الأَرْضِ» (متى 28: 18). وهذه المعجزة ترينا سلطانه على المرض وعلى الخطية.

قال الرسول بولس إن المسيح لم يحسب خلسة أن يكون معادلاً لله (فيلبي 2: 8) بمعنى أنه لما عادل المسيح نفسه بالله لم يكن مختلساً لما ليس من حقه، فقد كان غفران الخطايا حقه الطبيعي. هو صاحب السلطان على سفر الحياة ليكتب اسم المشلول المشفيّ فيه. وهو صاحب السلطان على الجسد الإنساني ليُعيد للمشلول صحته الكاملة. ظنَّ الكتبة أنه يجدف لكنه كان يمارس حقه الطبيعي.

صلاة

أبانا السماوي، نشكرك لأننا نجد في المسيح خلاصنا الكامل، شفاءً لأمراضنا وغفراناً لخطايانا. نطلب من محبتك أن تكون لنا بركات النعمة الغنية، فبفضل عطاياك نقدِّم من علامة مرضنا برهان شفائنا، ومن مظاهر قلقنا دليل سلامنا، لأنك لمست حياتنا. باسم المسيح آمين.

أسئلة

2- كيف صار بيت بطرس محل خدمة عامة للبلد كلها؟

2- ما هو الثمن الذي تكلَّفه بطرس من اتِّباعه للمسيح؟

3- ما هو الجزاء الذي ناله بطرس لما أعطى بيته للمسيح؟

4- اكتب أربع صفات في الرجال الأربعة.

5- اشرح تعاون الرجال الأربعة، وما هو الدرس الذي نتعلمه منهم؟

6- ماذا كان موقف المسيح من الكتبة الذين انتقدوه؟

7- ظهر سلطان المسيح في هذه المعجزة في دوائر مختلفة، ما هي؟

المعجزة السابعة

شفاء مريض بركة بيت حِسْدا

1وَبَعْدَ هَذَا كَانَ عِيدٌ لِلْيَهُودِ فَصَعِدَ يَسُوعُ إِلَى أُورُشَلِيمَ. 2وَفِي أُورُشَلِيمَ عِنْدَ بَابِ الضَّأْنِ بِرْكَةٌ يُقَالُ لَهَا بِالْعِبْرَانِيَّةِ «بَيْتُ حِسْدَا» لَهَا خَمْسَةُ أَرْوِقَةٍ. 3فِي هَذِهِ كَانَ مُضْطَجِعاً جُمْهُورٌ كَثِيرٌ مِنْ مَرْضَى وَعُمْيٍ وَعُرْجٍ وَعُسْمٍ يَتَوَقَّعُونَ تَحْرِيكَ الْمَاءِ. 4لأَنَّ مَلاَكاً كَانَ يَنْزِلُ أَحْيَاناً فِي الْبِرْكَةِ وَيُحَرِّكُ الْمَاءَ. فَمَنْ نَزَلَ أَوَّلاً بَعْدَ تَحْرِيكِ الْمَاءِ كَانَ يَبْرَأُ مِنْ أَيِّ مَرَضٍ اعْتَرَاهُ. 5وَكَانَ هُنَاكَ إِنْسَانٌ بِهِ مَرَضٌ مُنْذُ ثَمَانٍ وَثَلاَثِينَ سَنَةً. 6هَذَا رَآهُ يَسُوعُ مُضْطَجِعاً وَعَلِمَ أَنَّ لَهُ زَمَاناً كَثِيراً فَقَالَ لَهُ: «أَتُرِيدُ أَنْ تَبْرَأَ؟» 7أَجَابَهُ الْمَرِيضُ: «يَا سَيِّدُ، لَيْسَ لِي إِنْسَانٌ يُلْقِينِي فِي الْبِرْكَةِ مَتَى تَحَرَّكَ الْمَاءُ. بَلْ بَيْنَمَا أَنَا آتٍ يَنْزِلُ قُدَّامِي آخَرُ». 8قَالَ لَهُ يَسُوعُ: «قُمِ. احْمِلْ سَرِيرَكَ وَامْشِ». 9فَحَالاً بَرِئَ الإِنْسَانُ وَحَمَلَ سَرِيرَهُ وَمَشَى. وَكَانَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ سَبْتٌ.

10فَقَالَ الْيَهُودُ لِلَّذِي شُفِيَ: «إِنَّهُ سَبْتٌ! لاَ يَحِلُّ لَكَ أَنْ تَحْمِلَ سَرِيرَكَ». 11أَجَابَهُمْ: «إِنَّ الَّذِي أَبْرَأَنِي هُوَ قَالَ لِي احْمِلْ سَرِيرَكَ وَامْشِ». 12فَسَأَلُوهُ: «مَنْ هُوَ الإِنْسَانُ الَّذِي قَالَ لَكَ احْمِلْ سَرِيرَكَ وَامْشِ؟». 13أَمَّا الَّذِي شُفِيَ فَلَمْ يَكُنْ يَعْلَمُ مَنْ هُوَ لأَنَّ يَسُوعَ اعْتَزَلَ إِذْ كَانَ فِي الْمَوْضِعِ جَمْعٌ. 14بَعْدَ ذَلِكَ وَجَدَهُ يَسُوعُ فِي الْهَيْكَلِ وَقَالَ لَهُ: «هَا أَنْتَ قَدْ بَرِئْتَ فَلاَ تُخْطِئْ أَيْضاً لِئَلَّا يَكُونَ لَكَ أَشَرُّ». 15فَمَضَى الإِنْسَانُ وَأَخْبَرَ الْيَهُودَ أَنَّ يَسُوعَ هُوَ الَّذِي أَبْرَأَهُ. 16وَلِهَذَا كَانَ الْيَهُودُ يَطْرُدُونَ يَسُوعَ وَيَطْلُبُونَ أَنْ يَقْتُلُوهُ لأَنَّهُ عَمِلَ هَذَا فِي سَبْتٍ. 17فَأَجَابَهُمْ يَسُوعُ: «أَبِي يَعْمَلُ حَتَّى الآنَ وَأَنَا أَعْمَلُ». 18فَمِنْ أَجْلِ هَذَا كَانَ الْيَهُودُ يَطْلُبُونَ أَكْثَرَ أَنْ يَقْتُلُوهُ لأَنَّهُ لَمْ يَنْقُضِ السَّبْتَ فَقَطْ بَلْ قَالَ أَيْضاً إِنَّ اللَّهَ أَبُوهُ مُعَادِلاً نَفْسَهُ بِاللَّهِ» (يوحنا 5: 1–18).

هذه معجزة شفاء رجل كان مريضاً منذ ثمانٍ وثلاثين سنة، شفاه المسيح عند بركة بيت حِسدا في يوم عيد، في وقتٍ لم يكن فيه هذا الرجل يترقَّب عيداً. ثمانٍ وثلاثون سنة بأعيادها المختلفة مضت عليه دون أن يفرح بعيد. كان دائم الاكتئاب! لكن ذلك العيد الذي التقى فيه المسيح به صار له «العيد». ربما مررنا بأعياد كثيرة لم تكن أعياداً لنا لأن المسيح لم يكن قد امتلك حياتنا تماماً، لكن لو أننا اليوم سلمناه حياتنا تسليماً كاملاً فأعطيناه القلب والفكر والجسد، سيكون كل يوم لنا عيداً حقيقياً.

كان ذلك اليوم عيداً لليهود، فصعد المسيح إلى أورشليم ودخلها من «باب الضأن» الذي كانوا يُدخِلون منه الحملان للذبيحة في الهيكل، ثم اتَّجه إلى بركة بيت حِسدا، ومعناها «بيت الرحمة» حيث قدم الرحمة للمريض البائس.

والمسيح هو فصحنا الذي ذُبح لأجلنا، دخل من «باب الضأن» ذاهباً إلى «بيت الرحمة». أليست الرحمة الإلهية أن مخلِّصنا جاءنا مولوداً في مذود، ينتظره صليب، تتبعه القيامة، ليهبنا رحمته الغافرة المخلِّصة؟

يشرح لنا البشير يوحنا أحوال البِركة: كان بها ماء، ربما كان معدنياً، يحدث به فوران. وكان اليهود يقولون إن ملاكاً يجيء ليحرك الماء. لا يقولون إنهم رأوا الملاك، لكنهم يذكرون ما كانوا يعتقدونه. والمريض الذي كان يلقي بنفسه أولاً في البركة ينال الشفاء.

وكانت هذه المعجزة تتكرر لتبرهن أمرين: أن الله يحب شعبه، وأنه لا زال يُجري المعجزات.

اجتمع عدد كبير من المرضى: عُمي وعُرج وعُسم (والعُسم هم الذين أصابهم تيبُّس مفاصل اليدين والقدمين) ليقيموا في خمسة أروقة مفتوحة على البِركة، يحتمون فيها من المطر والشمس والرياح، وقد تثبَّتت عيونهم على الماء عندما يتحرك.

في ذلك المكان المسمى بيت الرحمة، كان هناك نقص في الرحمة! فما أن يتحرك الماء حتى يلقي كل إنسان نفسه أولاً، أو يلقي به أهلُه أولاً. لم يكن أحدٌ يفكر في غيره، لأنه يظن أنه لو فعل ذلك لضاعت الفرصة عليه!

ولذلك بقي هذا المريض في هذا المكان مدة ثمانٍ وثلاثين سنة ولم يبرأ. ولكن جاء العيد الحقيقي عندما جاءه المسيح وقال له: «أَتُرِيدُ أَنْ تَبْرَأَ؟» فأجاب: «يَا سَيِّدُ، لَيْسَ لِي إِنْسَانٌ يُلْقِينِي فِي الْبِرْكَةِ مَتَى تَحَرَّكَ الْمَاءُ». فقال له: «قُمِ. احْمِلْ سَرِيرَكَ وَامْشِ». وفي الحال قام وحمل سريره وطوى فراشه على كتفه وسار.

كان ذلك اليوم سبتاً، وكان رجال الدين اليهود متمسكين غاية التمسك بمطالب الشريعة، ومنها ألا يحمل أحدٌ شيئاً يوم السبت، لذلك لاموا المريض الذي شُفي، وانتقدوا المسيح وأرادوا أن يقتلوه لأنه كسر وصية السبت. وجرى حوارٌ، وكانت بركةٌ عند البِركة.

أولاً: المحتاج والمعجزة

بقى هذا المريض مدة ثمانٍ وثلاثين سنة يزحف نحو البِركة كلما تحرك الماء بأسرع ما يستطيع، ولكنه كان يصل دائماً متأخراً. توارد مئات الناس إلى البِرْكة، إما نزلوا فيها وخرجوا أصحاء وعادوا إلى بيوتهم، أو لم يستطيعوا النزول فماتوا ودفنوهم. أما هو فبقي بين الموت والحياة. إنه ميت حي. لا هو استراح مع الذين ماتوا، ولا هو فرح مع الذين شُفوا. لقد رأى أنانية البشر. غالباً دفعه كثيرون عشرات المرات ليأخذوا مكانه لينزلوا قبله إلى البِركة. لا الأصحاء رحموه ولا المرضى ساعدوه!

لا شفاء!

لا صديق!

وفوق الكل لا أمل، مع أن الشفاء كان بالقُرب منه!

في مرات كثيرة نمرُّ بظروف مشابهة. غيرنا يستفيد ونحن لا نستفيد. غيرنا ينتهز الفرصة ونحن لا نمتلكها. غيرنا يجد من يدفعه وأما نحن فلا نجد من يدفعنا إلى الأمام. «بَيْنَمَا أَنَا آتٍ يَنْزِلُ قُدَّامِي آخَرُ».

ولكن الموقف تبدل تماماً عندما تم اللقاء مع المسيح، وسأل: «أَتُرِيدُ أَنْ تَبْرَأَ؟».

ينتقد البعض سؤال المسيح ويسألون: «فلماذا إذاً يتواجد الرجل عند بركة بيت حسدا إن كان لا يريد أن يبرأ؟». ولكن الحقيقة هي أن كثيرين يعتادون المرض وعناية الآخرين بهم، ويستمتعون بأن يكونوا مركز الاهتمام. صحيح أن المرض كارثة ولكنه يخلق استكانة وتواكلاً، لأن الأهل يعتنون دائماً بالمريض. وهذا الرجل الذي تركه أهله لا بد وجد العناية من أهل المرضى، أو المرضى الأفضل صحةً منه، فكانوا يشفقون عليه ويطعمونه، لأنهم يعلمون أن لا أحد يسأل عليه. فلو أنه شُفي سيبدأ يتحمل مسؤولية نفسه من جديد. فهل هو مستعد لذلك؟ فسأله الرب: «أَتُرِيدُ أَنْ تَبْرَأَ؟» ليعرف إن كان مستعداً لمسؤوليات ما بعد الشفاء، وإن كان يريد أن يغيِّر حاله ويعتمد على نفسه.

الله لا يعطينا بركة إلا إذا جُعنا إليها، كما قال المسيح: «طُوبَى لِلْجِيَاعِ وَالْعِطَاشِ إِلَى الْبِرِّ، لأَنَّهُمْ يُشْبَعُونَ» (متى 5: 6). فالرب يُشبعنا عندما نكون جائعين ونحس بذلك فنطلب. الذي ينال بركة لم يطلبها لا يستمتع بها، لكن البَركة تكون ذات قيمة أكبر بالنسبة لنا إن أخذناها بعد أن نكون قد تشوَّقنا إليها، وطلبناها بلجاجة.

وكانت إجابة المريض: «لَّيْسَ لِي إِنْسَانٌ». سنوات المرض جعلته لا يفكر إلا في البشر. لم يذكر الرب وذكر الناس. لم يذكر إمكانية حدوث معجزة، لكنه ذكر خيبة أمل تكررت باستمرار! لم يعد يرى المحبة الإلهية، فهو يذكر فقط أن لا إنسان له يعينه ليلقيه في البركة متى تحرك الماء. ورفع المسيح عيني المريض من البشر إلى الله، لعله يقول مع جده داود: «انْتِظَاراً انْتَظَرْتُ الرَّبَّ، فَمَالَ إِلَيَّ وَسَمِعَ صُرَاخِي» (مزمور 40: 1).

1- تلقَّى المريض أمراً بالقيام:

تلقَّى هذا المريض عدة أوامر تبدو غريبة جداً: «قُمْ.. احْمِلْ.. امْشِ». فكيف يحمل ويمشي وهو أصلاً لا يستطيع القيام، لأنه لو أمكنه لكان قام منذ زمن بعيد!

لقد كان الأمر يتطلب شيئين من المريض: إيماناً وطاعة. فالإيمان هو «الثِّقَةُ بِمَا يُرْجَى، وَالإِيقَانُ بِأُمُورٍ لاَ تُرَى» (عبرانيين 11: 1). وقد آمن هذا المريض وهو لا يرى شفاءً ولا تغييراً في عضلات جسمه، ولا طرأ جديدٌ على حالته الصحية، لكنه آمن ورأى ما سيجيء! وهذا الإيمان هو الثقة في كلمة المسيح.. فمن أعطى هذا الرجل هذه الثقة؟ لا بد أن الروح القدس فتح عينيه. وهذا يفسر لنا عدم استجابة كثيرين لكلمة الرب، لأن الكلمة لم تمتزج بالإيمان في أنفسهم.

هل تذكر اللص الذي تاب، لأنه رأى ما لم يستطع المحيطون به رؤيته؟ لقد رأى في المصلوب إلى جواره رباً وأنه يملك ملكوتاً، فقال: «اذْكُرْنِي يَا رَبُّ مَتَى جِئْتَ فِي مَلَكُوتِكَ» (لوقا 23: 42). لقد رأت عين إيمان اللص غير ما تقوله كل الدلائل.. فليعطنا الله عيون الإيمان لنرى المسيح الرب صاحب السلطان في السماء وعلى الأرض، ولنرى أن الذين معنا أكثر من الذين علينا، وأن العناية الإلهية تقف إلى جوارنا باستمرار حتى لو كانت كل الظروف تُظهر عكس ذلك.

والإيمان الحقيقي دائماً ينشئ طاعة، ويجعل الإنسان يتبع الرب أينما يمضي، لأن كل الثقة وُضعت في الرب. وعندما تجاوب إيمان المريض مع الطاعة، تجاوب جسده مع أمر المسيح، فشُفي وحمل سريره ومشى.

2- تلقَّى المريض أمراً بحمل السرير والمشي:

وكان ذلك برهاناً يراه كل المحيطين به على أنه فعلاً نال الشفاء. ما أكثر عدد الذين يشكّون حتى بعد أن يروا! والمسيح يريد أن تنفتح عيون العميان الروحيين ليروا أن «سَنَةَ الرَّبِّ الْمَقْبُولَةَ» قد أتت (لوقا 4: 19). وهي السنة التي يتحرر فيها المأسورون.

3- ذهب المريض بعد شفائه إلى الهيكل:

«بَعْدَ ذَلِكَ وَجَدَهُ يَسُوعُ فِي الْهَيْكَلِ». لا بد أنه أراد أن يشكر الله في بيت الله. لم يكن قد عرف الذي شفاه، لأن المسيح اختفى في وسط الجموع، وغالباً كان المسيح وحده وليس معه أحد من تلاميذه، وإلا لكان المريض عرفه! وفي الهيكل التقى به المسيح مرة أخرى.

«فَرِحْتُ بِالْقَائِلِينَ لِي: إِلَى بَيْتِ الرَّبِّ نَذْهَبُ» (مزمور 122: 1) لذلك نجيء إلى بيت الرب باستمرار لنشكر، فنلتقي مرة أخرى بالمخلّص ليبارك حياتنا بركة أعمق. فلنرجع مرة أخرى قائلين: «حَلَلْتَ قُيُودِي. فَلَكَ أَذْبَحُ ذَبِيحَةَ حَمْدٍ، وَبِاسْمِ الرَّبِّ أَدْعُو.. فِي دِيَارِ بَيْتِ الرَّبِّ» (مزمور 116: 16-19).

ثانياً: المشاهدون والمعجزة

1- حسب المشاهدون أن الشريعة أهم من روح الشريعة:

شاهد اليهود الرجل يحمل فراشه، وكان ذلك في يوم سبت، بينما شريعة موسى تقول: «اُذْكُرْ يَوْمَ السَّبْتِ لِتُقَدِّسَهُ. سِتَّةَ أَيَّامٍ تَعْمَلُ وَتَصْنَعُ جَمِيعَ عَمَلِكَ، وَأَمَّا الْيَوْمُ السَّابِعُ فَفِيهِ سَبْتٌ لِلرَّبِّ إِلَهِكَ. لاَ تَصْنَعْ عَمَلاً مَا أَنْتَ

وَابْنُكَ وَابْنَتُكَ وَعَبْدُكَ وَأَمَتُكَ وَبَهِيمَتُكَ وَنَزِيلُكَ الَّذِي دَاخِلَ أَبْوَابِكَ- لأَنْ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ صَنَعَ الرَّبُّ السَّمَاءَ وَالأَرْضَ وَالْبَحْرَ وَكُلَّ مَا فِيهَا، وَاسْتَرَاحَ فِي الْيَوْمِ السَّابِعِ. لِذَلِكَ بَارَكَ الرَّبُّ يَوْمَ السَّبْتِ وَقَدَّسَهُ» (خروج 20: 8-11). فانتقد اليهود الرجل الذي شُفي لأنه كسر الوصية وحمل فراشه يوم السبت، وكان ردُّه: «إِنَّ الَّذِي أَبْرَأَنِي هُوَ قَالَ لِي احْمِلْ سَرِيرَكَ وَامْشِ». وعندما سألوه عن الذي أبرأه لم يعرف!

كان شيوخ اليهود يهتمون بالشريعة والذبيحة والقربان والطقس، دون أن يدركوا روح الشريعة. اهتموا بحرف الشريعة فقط، فجعلوا لها أهمية وأولوية أكبر من الرحمة! لم يهمهم أن المريض شُفي. كان يجب أن يهنئوه أولاً ببركة الصحة التي أهدتها له السماء في العيد، لكنهم انتقدوه، ونسوا الآية التي تقول: «لا تَنْظُرْ حِمَارَ أَخِيكَ أَوْ ثَوْرَهُ وَاقِعاً فِي الطَّرِيقِ وَتَتَغَافَلُ عَنْهُ، بَلْ تُقِيمُهُ مَعَهُ لا مَحَالَةَ» (تثنية 22: 4). لا بد أن يجتمع الأصدقاء ليساعدوا صاحب الحمار ويمدوا له يد العون، لأنه لا يستطيع أن يخرجه وحده. ولكن شيوخ اليهود تمسكوا بجزء من الشريعة وتركوا الجزء الآخر، بينما يجب أن ندرس الكلمة ككل، فإنه «سِرَاجٌ لِرِجْلِي كَلاَمُكَ، وَنُورٌ لِسَبِيلِي» (مزمور 119: 105).

2- سمع المشاهدون أن الله يعمل دوماً:

بعد أن عنَّف اليهود الرجل «كَانَ الْيَهُودُ يَطْرُدُونَ يَسُوعَ وَيَطْلُبُونَ أَنْ يَقْتُلُوهُ لأَنَّهُ عَمِلَ هَذَا فِي سَبْتٍ. فَأَجَابَهُمْ يَسُوعُ: أَبِي يَعْمَلُ حَتَّى الآنَ وَأَنَا أَعْمَلُ. فَمِنْ أَجْلِ هَذَا كَانَ الْيَهُودُ يَطْلُبُونَ أَكْثَرَ أَنْ يَقْتُلُوهُ، لأَنَّهُ لَمْ يَنْقُضِ السَّبْتَ فَقَطْ، بَلْ قَالَ أَيْضاً إِنَّ اللَّهَ أَبُوهُ مُعَادِلاً نَفْسَهُ بِاللَّهِ». وأثارتهم كلمات المسيح هذه، فكيف يقول: «أَبِي يَعْمَلُ حَتَّى الآنَ وَأَنَا أَعْمَلُ»؟.. لقد فاتهم أن يدركوا أن الله الذي انتهى من الخلق في اليوم السادس، لا زال يقوم بأعمال العناية لخير البشر. لقد خلق الأفلاك وحفظها في مكانها، فنقول له: «خَلَقْتَ كُلَّ الأَشْيَاءِ، وَهِيَ بِإِرَادَتِكَ كَائِنَةٌ وَخُلِقَتْ». (رؤيا 4: 11). فلم يكن يوم السبت نهاية عمل الله، لأنه ما زال يحفظ الأفلاك والكواكب في مداراتها! ولا زال المسيح يرمم أجساد الناس ويشفيها. صحيح أن السبت كان نهاية عمل الخلق، لكنه لم يكن نهاية عمل العناية.

وهذا يملأ قلوبنا بالفرح لأن إلهنا يعمل لنا ومعنا باستمرار «هَا إِنَّ يَدَ الرَّبِّ لَمْ تَقْصُرْ عَنْ أَنْ تُخَلِّصَ، وَلَمْ تَثْقُلْ أُذُنُهُ عَنْ أَنْ تَسْمَعَ» (إشعياء 59: 1) «لاَ يَنْعَسُ حَافِظُكَ» (مزمور 121: 3) فهو يعطي ويبارك ويغمرنا دائماً بمحبة أبوية لا تنتهي.

3- أراد المشاهدون أن يقتلوا المسيح:

غضب اليهود لأنهم فهموا أن المسيح بقوله «أَبِي يَعْمَلُ حَتَّى الآنَ وَأَنَا أَعْمَلُ» (آية 17) أعلن أنه ابن الله، وهذا في نظرهم يعني أنه قد ساوى نفسه بالله «فَمِنْ أَجْلِ هَذَا كَانَ الْيَهُودُ يَطْلُبُونَ أَكْثَرَ أَنْ يَقْتُلُوهُ، لأَنَّهُ لَمْ يَنْقُضِ السَّبْتَ فَقَطْ، بَلْ قَالَ أَيْضاً إِنَّ اللَّهَ أَبُوهُ مُعَادِلاً نَفْسَهُ بِاللَّهِ» (آية 18). لقد قال: «أَنَا وَالآبُ وَاحِدٌ» (يوحنا 10: 30) وقال لفيلبس: «الَّذِي رَآنِي فَقَدْ رَأَى الآبَ» (يوحنا 14: 9). ويقول الرسول بولس إن المسيح عندما عادل نفسه بالله لم يختلس حقاً ليس له، ولكنه كان يعلن حقيقة هي ملكه فعلاً (فيلبي 2: 6). فلماذا يكره الناس الحق؟

ثالثاً: المسيح والمعجزة

«هَذَا رَآهُ يَسُوعُ مُضْطَجِعاً وَعَلِمَ أَنَّ لَهُ زَمَاناً كَثِيراً فَقَالَ لَهُ: أَتُرِيدُ أَنْ تَبْرَأَ؟» (آية 6). نلاحظ أفعال المسيح: رأى، وعلِم، وسأل، وأعلن حبه، وأمر، وتوَّب.

1- المسيح يرى:

رأت عين المسيح العامرة بالحب مريضاً لا صديق له. رأى الذي يعتبره الناس «حالة» يائسة لا رجاء فيهـا، فكانت رؤيته بعكس المنطق البشري. عادة يعتني الطبيب بالشخص الذي تكون حالته أفضل أولاً، لأن قـدرة الطبيب محدودة. أما المسيح فكل شيء مستطاع عنده، وهو متخصص في المستحيلات.

2- المسيح يعرف:

فهو يعرف كل شيء عنا. إنه يعرف ضعفنا واحتياجنا الحقيقي، ثم يعطي ما نحتاجه بسخاء ولا يعيِّر.

3- المسيح يسأل:

سأله: «أَتُرِيدُ أَنْ تَبْرَأَ؟». هذه هي عناية المسيح، فهو دائماً يسأل عنا وعن احتياجانا. وحصولنا على نعمة المسيح يتوقف علينا. فهل تسمعه يسألك إن كنت تريد عونه؟

4- المسيح يعلن محبته:

أعلن اهتمامه وعطفه للرجل الذي يئس من كل شيء ومن كل شخص! «فَإِنَّهُ يُسَرُّ بِالرَّأْفَةِ. يَعُـودُ يَرْحَمُنَـا. يَدُوسُ آثَامَنَا» (ميخا 7: 18، 19).

5- المسيح يأمر:

««قُمِ. احْمِلْ سَرِيرَكَ وَامْشِ». وهذا أمرٌ ينافي العُرف والانتظار والتوقُّع، ويتناقض مع صـحة جسـد ذلـك الإنسان، لأنه يحتاج لشفاءٍ وفترة نقاهة، لكن الرب تخطّى هذا كله.

أحياناً نريد أن نصلح من أنفسنا روحياً معتمدين على ذواتنا، ولكن الرب يعطي ميلاداً جديداً: «إِنْ كَانَ أَحَدٌ فِي الْمَسِيحِ فَهُوَ خَلِيقَةٌ جَدِيدَةٌ. الأَشْيَاءُ الْعَتِيقَةُ قَدْ مَضَتْ. هُوَذَا الْكُلُّ قَدْ صَارَ جَدِيداً» (2كورنثوس 5: 17). هذا تغيير كامل تماماً، فما لا يصدقه العقل الإنساني ينفذه الحب الإلهي القادر، والذي يُجري المعجزات.

6- المسيح يتوبِّخ:

«بَعْدَ ذَلِكَ وَجَدَهُ يَسُوعُ فِي الْهَيْكَلِ وَقَالَ لَهُ: هَا أَنْتَ قَدْ بَرِئْتَ فَلاَ تُخْطِئْ أَيْضاً، لِئَلا يَكُونَ لَكَ أَشَرُّ» (آية 14). يبدو أن مرض هذا الرجل كان نتيجة خطيته، ولو أن كل مرض ليس نتيجة خطية. فتوبة المريض هنا شرط لاستمرار الصحة. والرجوع إليها أشر، لأنه يحرمه من الحياة ويميته (1كورنثوس 11: 30).

ومن أمر المسيح للمريض المشفي نتعلم ثلاث حقائق:

(أ) قد يجيء المرض نتيجة للخطية.

(ب) التوبة شرط لاستمرار الصحة.

(ج) الرجوع للخطية يُنتج نتائج أشر.

7- المسيح يعلن ألوهيته:

قال المسيح إن الله أبوه (آية 17) فساوى نفسه بالله (آية 18) ونجد هنا المسيح يعلن ألوهيته سبع مرات:

(أ) المسيح يعمل نفس عمل الآب: «مَهْمَا عَمِلَ ذَاكَ (الآب) فَهَذَا يَعْمَلُهُ الابْنُ كَذَلِكَ» (آية 19).

(ب) المسيح يعرف فكر الآب: «لأَنَّ الآبَ يُحِبُّ الابْنَ وَيُرِيهِ جَمِيعَ مَا هُوَ يَعْمَلُهُ، وَسَيُرِيهِ أَعْمَالاً أَعْظَـمَ مِـنْ هَذِهِ لِتَتَعَجَّبُوا أَنْتُمْ» (آية 20).

(ج) المسيح يُحيي الموتى: «كَمَا أَنَّ الآبَ يُقِيمُ الأَمْوَاتَ وَيُحْيِي، كَذَلِكَ الابْنُ أَيْضاً يُحْيِي مَنْ يَشَاءُ.. اَلْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ مَنْ يَسْمَعُ كلاَمِي وَيُؤْمِنُ بِالَّذِي أَرْسَلَنِي فَلَهُ حَيَاةٌ أَبَدِيَّةٌ، وَلاَ يَأْتِي إِلَى دَيْنُونَةٍ بَلْ قَـدِ انْتَقَـلَ مِـنَ الْمَوْتِ إِلَى الْحَيَاةِ.. لأَنَّهُ كَمَا أَنَّ الآبَ لَهُ حَيَاةٌ فِي ذَاتِهِ كَذَلِكَ أَعْطَى الابْنَ أَيْضاً أَنْ تَكُونَ لَهُ حَيَاةٌ فِي ذَاتِهِ» (آية 21، 24-26).

(د) المسيح يدين العالم: «لأَنَّ الآبَ لاَ يَدِينُ أَحَداً بَلْ قَدْ أَعْطَى كُلَّ الدَّيْنُونَةِ لِلابْنِ» (آية 22).

(هـ) المسيح ينال الكرامة: «لِكَيْ يُكْرِمَ الْجَمِيعُ الابْنَ كَمَا يُكْرِمُونَ الآبَ. مَنْ لاَ يُكْرِمُ الابْنَ لاَ يُكْرِمُ الآبَ الَّذِي أَرْسَلَهُ» (آية 23).

(و) أربع شهادات للمسيح:

* شهد الآب له: ««إِنْ كُنْتُ أَشْهَدُ لِنَفْسِي فَشَهَادَتِي لَيْسَتْ حَقّاً. الَّذِي يَشْهَدُ لِي هُوَ آخَرُ، وَأَنَا أَعْلَمُ أَنَّ شَهَادَتَهُ الَّتِي يَشْهَدُهَا لِي هِيَ حَقٌّ.. وَالآبُ نَفْسُهُ الَّذِي أَرْسَلَنِي يَشْهَدُ لِي» (آيتا 31، 32، 37).

* شهد له يوحنا المعمدان: «أَنْتُمْ أَرْسَلْتُمْ إِلَى يُوحَنَّا فَشَهِدَ لِلْحَقِّ» (آية 33).

* شهدت له أعماله: «وَأَمَّا أَنَا فَلِي شَهَادَةٌ أَعْظَمُ مِنْ يُوحَنَّا، لأَنَّ الأَعْمَالَ الَّتِي أَعْطَانِي الآبُ لأُكَمِّلَهَا. هَذِهِ الأَعْمَالُ بِعَيْنِهَا الَّتِي أَنَا أَعْمَلُهَا هِيَ تَشْهَدُ لِي أَنَّ الآبَ قَدْ أَرْسَلَنِي» (آية 36).

* شهدت له الكتب المقدسة: «فَتِّشُوا الْكُتُبَ.. وَهِيَ الَّتِي تَشْهَدُ لِي» (آية 39).

هذا هو إلهنا القادر على كل شيء، المخلِّص العظيم، الذي ينقذنا من ضعفاتنا ويتحنن ويتراءف علينا. فدعونا ننحني دائماً نطلب منه بركة مضاعفة لحياتنا.

صلاة

يا صاحب السلطان، يا من تقول فيكون وتأمر فيصير، لك الشكر والتسبيح والهتاف. لك الخضوع والتسليم والطاعة. عليك الاعتماد ومنك العون.

هبنا أن نسند رؤوسنا المتعبة على صدر محبتك، لننال منك ما نحتاجه اليوم وغداً، إلى أن ننتقل إلى محضرك، حيث لا مرض ولا عوز ولا أنين. باسم المسيح. آمين.

أسئلة

1- متى يكون احتفالنا بالعيد حقيقياً؟

2- ما هي المعاني الرمزية في دخول المسيح من «باب الضأن» وذهابه إلى بركة بيت حِسْدا؟

3- لماذا لام شيوخ اليهود المريض لأنه حمل سريره؟

4- ما هي مشكلة المريض منذ 38 سنة، وكيف حلَّها المسيح؟

5- أمر المسيح المريض أن يقوم ويحمل فراشه ويمشي، وتطلَّب هذا من المريض أمرين. ما هما؟

6- لماذا ذهب المريض للهيكل بعد شفائه؟

7- أعلن المسيح ألوهيته سبع مرات – اذكرها.

المعجزة الثامنة

شفاء ذي اليد اليابسة

«1ثُمَّ دَخَلَ أَيْضاً إِلَى الْمَجْمَعِ وَكَانَ هُنَاكَ رَجُلٌ يَدُهُ يَابِسَةٌ. 2فَصَارُوا يُرَاقِبُونَهُ: هَلْ يَشْفِيهِ فِي السَّبْتِ؟ لِكَيْ يَشْتَكُوا عَلَيْهِ. 3فَقَالَ لِلرَّجُلِ الَّذِي لَهُ الْيَدُ الْيَابِسَةُ: «قُمْ فِي الْوَسَطِ!» 4ثُمَّ قَالَ لَهُمْ: «هَلْ يَحِلُّ فِي السَّبْتِ فِعْلُ الْخَيْرِ أَوْ فِعْلُ الشَّرِّ؟ تَخْلِيصُ نَفْسٍ أَوْ قَتْلٌ؟». فَسَكَتُوا. 5فَنَظَرَ حَوْلَهُ إِلَيْهِمْ بِغَضَبٍ حَزِيناً عَلَى غِلاَظَةِ قُلُوبِهِمْ وَقَالَ لِلرَّجُلِ: «مُدَّ يَدَكَ». فَمَدَّهَا فَعَادَتْ يَدُهُ صَحِيحَةً كَالأُخْرَى» (مرقس 3: 1-5).

(وردت هذه المعجزة أيضاً في متى 12: 9-14 ولوقا 6: 6-11).

اختلف مفسرو الإنجيل حول التتابع التاريخي للمعجزات، لأن كُتَّاب الأناجيل لم يسجلوا معجزات المسيح حسب تاريخ حدوثها، بل كانوا يأخذون منها أمثلة فقط، بسبب كثرة عددها. وبالطبع اجتهد المفسرون في تحديد موعد حدوث المعجزات، ولذلك قد لا تكون هذه المعجزة هي الثامنة في سلسلة معجزات المسيح.

يقول البشير لوقا إن يد الرجل اليمنى هي التي كانت يابسة. ويتفق البشيرون أن المعجزة جرت في الهيكل، في يوم سبت، بعد مناقشة بين المسيح وشيوخ اليهود لأن التلاميذ قطفوا سنابل، فقد كان مباحاً لأي مسافر أن يلتقط من الحقول أو الحدائق ما يأكله، بشرط أن لا يأخذ منه معه (تثنية 23: 25). لكن لأن السنابل قُطفت يوم سبت، اعتبر شيوخ اليهود أن الإنسان الذي قطف السنبلة (في نظرهم) قام بعملية حصاد، ودراس، وتذرية، وطحن، ثم أكل!

هكذا فسر شيوخ اليهود موقف التلاميذ، فقالوا للمسيح: «هُوَذَا تَلاَمِيذُكَ يَفْعَلُونَ مَا لاَ يَحِلُّ فِعْلُهُ فِي السَّبْتِ!» (متى 12: 2). وقدَّم المسيح لهم أربع إجابات، سنتأملها ونحن نناقش موقف شيوخ اليهود من المعجزة.

دخل المسيح الهيكل بعد هذه التعليقات الأربعة، حيث رأى رجلاً يده اليمنى يابسة. فسأله شيوخ اليهود: «هَلْ يَحِلُّ الإِبْرَاءُ فِي السُّبُوتِ؟». يريدون بذلك أن يزيدوا على خطإ التلاميذ في قطف السنابل خطأً من المسيح نفسه، فتصبح الشكوى ضد المسيح أيضاً. ويقول البشير متى: «لِكَيْ يَشْتَكُوا عَلَيْهِ». وشرح المسيح لهم روح الشريعة، ثم قال للرجل: «مُدَّ يَدَكَ» فمدَّها، فعادت صحيحة كالأخرى.

أولاً: المحتاج والمعجزة

كانت يد المريض اليمنى هي اليابسة، وهي اليد التي تعمل، وتمتد للسلام، وتعطي، وتتلقَّى.

1- كان عاجزاً عن عمل الخير:

شفى المسيح الرجل من عجزه ليردَّ له القدرة على العمل الصالح. فالإنسان البعيد عن الرب عاجز عن أن يعمل خيراً، والرب يريد أن يدفعنا للخير.

نقرأ في متى 21 عن الأب الذي كان له ابنان، فقال للأول: «يَا ابْنِي اذْهَبِ الْيَوْمَ اعْمَلْ فِي كَرْمِي». فأجابه: «مَا أُرِيدُ». ولكنه ندم بعد ذلك وذهب. فقال للثاني: «يَا ابْنِي اذْهَبِ الْيَوْمَ اعْمَلْ فِي كَرْمِي». فأطاع بالكلام ولكنه لم ينفِّذ بالعمل. والأمر نفسه موجَّه لنا كلنا. والرب يريد أن نقوم بعمل في كرمه لأننا أولاده، فتوقعه الطبيعي منا أن نعمل في كرمه. لكن صاحب اليد اليمنى اليابسة كان عاجزاً عن العمل، ولذلك قال له المسيح: «مُدّ يدك.. هيا اعمل معي».

2- كان عاجزاً عن السلام على الناس:

وذلك لأن يده لا تتحرك. وعالمنا مليء بأصحاب اليد اليمنى اليابسة أخلاقياً وروحياً ومعنوياً. فهم لا يمدون أيديهم بالمحبة لأنهم يحتاجون إلى المحبة. لم يختبروها فلا يستطيعون أن يعطوها. ونحن نحتاج أن نتعلم أن الله يحبنا، وأنه الراعي الصالح الذي يمد يده لنا دوماً بالحب الذي يصل إلينا ليصالحنا مع الله. وهو يريدنا بعد ذلك أن نكون رُسل مصالحة، نصالح الناس مع الله، ويقول الرب لك: أيها المؤمن، مد يدك لتصالح الناس معي (2كورنثوس 5: 18-20).

3- كان عاجزاً عن أن يعطي:

اليد اليابسة لا تستطيع أن تعطي، فنحن أنانيون بطبيعتنا، لكن يجب أن نتأمل إلهنا المحب الذي يُشرق شمسه على الجميع، ويمطر على الكل من أبرار وأشرار (متى 5: 45) فنتبع مثاله. ربما لم نتعود ذلك، أو ربما عملنا خيراً فكان جزاؤنا شراً، فأصبحنا نخاف من أن نعمل الخير، لأننا أسرى الماضي وعبيد الاختبار السيء. ويجب أن ننتقل من الماضي إلى حاضر أفضل وإلى مستقبل لا بد أن يكون أكثر عطاءً مع المسيح.

ويتحدث بولس الرسول عن الحياة الجديدة والتغيير الذي يجريه الرب في النفس قائلاً: «لاَ يَسْرِقِ السَّارِقُ فِي مَا بَعْدُ، بَلْ بِالْحَرِيِّ يَتْعَبُ عَامِلاً الصَّالِحَ بِيَدَيْهِ، لِيَكُونَ لَهُ أَنْ يُعْطِيَ مَنْ لَهُ احْتِيَاجٌ» (أفسس 4: 28).

ويقول الرب: «سَلَبْتُمُونِي» فيسألونه: «بِمَ سَلَبْنَاكَ؟» فيجاوب: «فِي الْعُشُورِ وَالتَّقْدِمَةِ» (ملاخي 3: 8) لأنكم لم تقدموا العشور لي. فنحن نحتاج إلى شفاء اليد اليمنى اليابسة التي لا تعطي، لنتعلم كيف نسدد احتياجات الآخرين.

4- كان عاجزاً عن أن يمد يده ليأخذ:

يسمع الناس عن خلاص الرب ولكنهم يرفضونه بسبب إحساسهم بأنهم أفضل من غيرهم، أو لأنهم لا يرون حاجتهم له، أو لشدة يأسهم من شرورهم فيظنون أن الله لن يقبلهم ولن يعطيهم خلاصاً. ومهما كانت الأسباب، فإن النفس الخاطئة البعيدة عن الرب لا تستطيع أن تمد يد الإيمان لتأخذ البركة. ونحن نحتاج لمعجزة شفاء أيدينا اليابسة لتمتد في ثقة وإيمان لتأخذ، فنقول: «مَاذَا أَرُدُّ لِلرَّبِّ مِنْ أَجْلِ كُلِّ حَسَنَاتِهِ لِي؟ كَأْسَ الْخَلاَصِ أَتَنَاوَلُ، وَبِاسْمِ الرَّبِّ أَدْعُو» (مزمور 116: 12، 13).

5- كان عاجزاً لعيب خَلْقي:

ربما وُلد الرجل بعيب خَلْقي، أو ربما يبست يده بسبب مرض، فلم تكن الحياة تسري إليها وتوقَّفت عن العمل. وهذان السببان موجودان فينا بمعنى روحي. فعيب الميلاد: «هَئَنَذَا بِالإِثْمِ صُوِّرْتُ، وَبِالْخَطِيَّةِ حَبِلَتْ بِي أُمِّي» (مزمور 51: 5) «بِإِنْسَانٍ وَاحِدٍ دَخَلَتِ الْخَطِيَّةُ إِلَى الْعَالَمِ، وَبِالْخَطِيَّةِ الْمَوْتُ، وَهَكَذَا اجْتَازَ الْمَوْتُ إِلَى جَمِيعِ النَّاسِ إِذْ أَخْطَأَ الْجَمِيعُ» (رومية 5: 12). نحن خطاة بالطبيعة، وخطاة بالفعل. والمسيح هو الشافي من الحالتين.

6- أظهر المحتاج للمعجزة ثلاثة أمور:

(أ) آمن: قال المسيح لهذا المريض: «مُدَّ يَدَكَ» فمدَّها، وهو يعلم أنها يابسة لا تتحرك. كان يمكن أن يقول: «لا أستطيع فأنا عاجز». لكن لأنه آمن بالكلمة مدّ يده رغم أنها لا تزال يابسة، واثقاً في أمر الرب.

(ب) أطاع: عندما يتواجد الإيمان القلبي تتواجد الطاعة. أما الإيمان الذي لا يطيع فهو إيمان العقل الذي لم يغيّر الحياة. إنه مثل إيمان الشياطين (يعقوب 2: 19) لكن الإيمان الحقيقي يمتزج بالطاعة.

(ج) كان شجاعاً: كان كثيرون من شيوخ اليهود واقفين يراقبون المسيح، وسألوه: «هَلْ يَحِلُّ الإِبْرَاءُ فِي السُّبُوتِ؟» ليشتكوا عليه. كان من الممكن أن يفضِّل المريض يَبَسَ يده عن أن يدخل في مشاكل مع قادة الدين والسياسة! ولكنه كان بجانب إيمانه وطاعته شجاعاً شجاعة جعلته يتبع المسيح وينفذ أوامره.
ليعطنا الله الإيمان القوي، والطاعة، ليكون إيماننا فعالاً وعاملاً ومثمراً. ليعطنا الشجاعة لنطيع المسيح وننفذ أوامره لأنها أفضل شيء لحياتنا.

ثانياً: المشاهدون والمعجزة

هناك أشخاص مثل شيوخ اليهود يهتمون بحرف الشريعة وليس بروحها، وهؤلاء عبيد وليسوا أبناء، فالشريعة تخلق عبيداً، لكن النعمة هي التي تمنح البنوية. في الشريعة يخاف الإنسان، لكنه في النعمة يطمئن، لأن الرب بنعمته يعطي الحرية والراحة والمحبة، فيكون اتِّباع المؤمن للمسيح اتِّباع من يحب بكل القلب والفكر، فيتمتع بنعمة تحرير المسيح «لأَنَّ النَّامُوسَ بِمُوسَى أُعْطِيَ، أَمَّا النِّعْمَةُ وَالْحَقُّ فَبِيَسُوعَ الْمَسِيحِ صَارَا» (يوحنا 1: 17).
وكان رد المسيح عليهم عندما سألوه: «هَلْ يَحِلُّ الإِبْرَاءُ فِي السُّبُوتِ؟» رداً رباعياً:
1- قال إن الضرورة أباحت لداود أن يفعل شيئاً غير مُباح: «أَمَا قَرَأْتُمْ مَا فَعَلَهُ دَاوُدُ حِينَ جَاعَ هُوَ وَالَّذِينَ مَعَهُ، كَيْفَ دَخَلَ بَيْتَ اللَّهِ وَأَكَلَ خُبْزَ التَّقْدِمَةِ الَّذِي لَمْ يَحِلَّ أَكْلُهُ لَهُ وَلاَ لِلَّذِينَ مَعَهُ بَلْ لِلْكَهَنَةِ فَقَطْ؟» (متى 12: 3، 4) ويشير بذلك إلى قصة داود في 1صموئيل 21: 3-6.
ونص شريعة موسى موجود في سفر اللاويين 24: 5-9. ونرى من هنا أن الكاهن أعطى داود الخبز، بخلاف أمر الشريعة، لأن الضرورة أباحت غير المباح.
2- ثم قال إن حرف الشريعة ليس هو المقصود، بل روحها، وقال «أَوَمَا قَرَأْتُمْ فِي التَّوْرَاةِ أَنَّ الْكَهَنَةَ فِي السَّبْتِ فِي الْهَيْكَلِ يُدَنِّسُونَ السَّبْتَ وَهُمْ أَبْرِيَاءُ؟» (متى 12: 5). فالكهنة يكسرون شريعة حفظ يوم السبت، كما تقول الوصية «وَفِي يَوْمِ السَّبْتِ (يُقدَّم) خَرُوفَانِ حَوْلِيَّانِ صَحِيحَانِ، وَعُشْرَانِ مِنْ دَقِيقٍ مَلتُوتٍ بِزَيْتٍ تَقْدِمَةً مَعَ سَكِيبِهِ، مُحْرَقَةُ كُلِّ سَبْتٍ فَضْلاً عَنِ الْمُحْرَقَةِ الدَّائِمَةِ وَسَكِيبِهَا» (عدد 28: 9، 10).
3- ثم قال المسيح إن حضوره مع تلاميذه، وفي تلاميذه، هو أعظم من الهيكل. قال: «إِنَّ هَهُنَا أَعْظَمَ مِنَ الْهَيْكَلِ» (متى 12: 6) يتكلم عن نفسه أنه هو الهيكل، لأنه الممتلئ بالروح القدس، المُنقاد به ليعلِّم تعاليمه: «رُوحُ السَّيِّدِ الرَّبِّ عَلَيَّ لأَنَّهُ مَسَحَنِي» (لوقا 4: 18).
4- ثم قال المسيح إنه صاحب السلطان على الشريعة «فَإِنَّ ابْنَ الإِنْسَانِ هُوَ رَبُّ السَّبْتِ أَيْضاً» (متى 12: 8) فالمسيح جاء مشرعاً يقول: «سَمِعْتُمْ أَنَّهُ قِيلَ.. أَمَّا أَنَا فَأَقُولُ» (متى 5: 21، 27، 33). نلاحظ عظمة المسيح وسلطانه. لقد تلقى موسى الشريعة من الله، لكن المسيح يقول: «الْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ» فالمسيح هو الرسالة والرسول، وهو الكلمة والمتكلم، وهو المتفرِّد عن كل من سبقه، ولا يمكن أن يلحقه شخص يشبهه، لأنه «بِالإِجْمَاعِ عَظِيمٌ هُوَ سِرُّ التَّقْوَى: اللهُ ظَهَرَ فِي الْجَسَدِ» (1تيموثاوس 3: 16).
ثم سأل المسيح شيوخ اليهود: «أَيُّ إِنْسَانٍ مِنْكُمْ يَكُونُ لَهُ خَرُوفٌ وَاحِدٌ، فَإِنْ سَقَطَ هَذَا فِي السَّبْتِ فِي حُفْرَةٍ أَفَمَا يُمْسِكُهُ وَيُقِيمُهُ؟ فَالإِنْسَانُ كَمْ هُوَ أَفْضَلُ مِنَ الْخَرُوفِ! إِذاً يَحِلُّ فِعْلُ الْخَيْرِ فِي السُّبُوتِ!» (متى 12: 11، 12).
ومن هذا التفسير نرى المسيح صاحب الشريعة الجديدة التي أكملت الشريعة القديمة.

كان شيوخ اليهود غير سعداء لأنهم تحت عبودية الحرف. لكن الشعب كان في غاية السعادة لأن المسيح كرز لهم بالحرية «فَإِنْ حَرَّرَكُمُ الابْنُ فَبِالْحَقِيقَةِ تَكُونُونَ أَحْرَاراً» (يوحنا 8: 36). فالشعب يريد روح الشريعة، والسبت جُعل لأجل الإنسان، لا الإنسان لأجل السبت. فلم يعطنا الرب الشرائع ليستعبدنا بها ولكن ليخدمنا.

ثالثاً: المسيح والمعجزة

1- المسيح يهتم بالجوهر:

فهو يريدنا أن نهتم بروح الشريعة. إنه ينظر إلى القلب لا إلى المظهر، ويتحقق فيه القول: «لأَنَّ الإِنْسَانَ يَنْظُرُ إِلَى الْعَيْنَيْنِ، وَأَمَّا الرَّبُّ فَإِنَّهُ يَنْظُرُ إِلَى الْقَلْبِ» (1صموئيل 16: 7). إن روعة حياتنا كمؤمنين بالمسيح هي أننا نهتم بروح الشريعة. «إِنِّي أُرِيدُ رَحْمَةً لاَ ذَبِيحَةً، وَمَعْرِفَةَ اللَّهِ أَكْثَرَ مِنْ مُحْرَقَاتٍ» (هوشع 6: 6).

ونرى الاهتمام بالجوهر في أن المسيح هو المحبة المتجسدة، وشريعته هي شريعة الحب، فقال أحد أتباعه: «إِنْ كُنْتُ أَتَكَلَّمُ بِأَلْسِنَةِ النَّاسِ وَالْمَلاَئِكَةِ وَلَكِنْ لَيْسَ لِي مَحَبَّةٌ، فَقَدْ صِرْتُ نُحَاساً يَطِنُّ أَوْ صَنْجاً يَرِنُّ» (1كورنثوس 13: 1). فالبلاغة مهما كانت عظيمة والكلمات مهما كانت ساحرة، بدون محبة، هي مجرد أصوات فارغة بلا قيمة!

2- المسيح يعمل الخير:

لن يتردد أبداً في ذلك، سواء كان هناك مقاومون أو محبون. استعداده لعمل الخير نابع من أنه هو المحبة، فالرب يعمل عمل المحبة دائماً. ولا نمر أبداً بظروف قاسية أو حلوة إلا واختبرنا فيها الله الحنان، وشعرنا بالمحبة الكاملة العميقة لنا.

3- المسيح الإنسان:

عندما سأل: «هَلْ يَحِلُّ فِي السَّبْتِ فِعْلُ الْخَيْرِ أَوْ فِعْلُ الشَّرِّ؟ تَخْلِيصُ نَفْسٍ أَوْ قَتْلٌ؟». فَسَكَتُوا. فَنَظَرَ حَوْلَهُ إِلَيْهِمْ بِغَضَبٍ حَزِيناً عَلَى غِلاَظَةِ قُلُوبِهِمْ» (مرقس 3: 4، 5) فالمسيح في إنسانيته الكاملة يعبر عن مشاعره، وتظهر تلك المشاعر بوضوح على وجهه. وعندما أُحضر إليه مصاب بالصمم والخرس «رَفَعَ نَظَرَهُ نَحْوَ السَّمَاءِ وَأَنَّ وَقَالَ لَهُ: إِفَّثَا. أَيِ انْفَتِحْ» (مرقس 7: 34). لقد أنَّ المسيح على آلام البشر. ونقرأ عن الشاب الغني الذي سأل المسيح عن الحياة الأبدية «فَنَظَرَ إِلَيْهِ يَسُوعُ وَأَحَبَّهُ وَقَالَ لَهُ: يُعْوِزُكَ شَيْءٌ وَاحِدٌ. اذْهَبْ بِعْ كُلَّ مَا لَكَ وَأَعْطِ الْفُقَرَاءَ، فَيَكُونَ لَكَ كَنْزٌ فِي السَّمَاءِ، وَتَعَالَ اتْبَعْنِي حَامِلاً الصَّلِيبَ» (مرقس 10: 21). وهنا نرى مشاعر محبة المسيح للمحتاج، وحزنه على غلاظة القلوب.

4- المسيح القادر على المستحيل:

عندما يبدو لنا أن المشكلة مستحيلة الحل، ولا يمكن الخروج من مأزقها، نجد المسيح المتخصص في المستحيلات. كانت اليد اليابسة مشكلة مستحيلة الحل، فحلها حلال المشاكل القدير! إنه يقول لك دائماً: مُد يد الإيمان وخذ بركة أكبر «إِلَى الآنَ لَمْ تَطْلُبُوا شَيْئاً بِاسْمِي. اُطْلُبُوا تَأْخُذُوا لِيَكُونَ فَرَحُكُمْ كَامِلاً» (يوحنا 16: 24).

صلاة

يا أبانا السماوي، نشكرك لأن المسيح أكمل الشريعة ووضح لنا روحها، وأعلن لنا المحبة التي تشفق على الخاطئ بالغفران، وعلى المريض بالصحة. لقد أعطى بغير حساب، أكثر جداً من كل طلب وتوقُّع.

ساعدني لأرى المسيح يتعامل معي اليوم كما تعامل مع صاحب اليد اليابسة، فلا زال هو على أرضنا بروحه القدوس، يفعل فوق ما أطلب أو أفتكر. باسم المسيح. آمين.

أسئلة

1- لماذا لام شيوخ اليهود تلاميذ المسيح؟

2- اشرح المعاني الروحية لأن: اليد اليابسة لا تعمل، ولا تمتد للسلام، ولا تعطي ولا تتلقَّى.

3- ما معنى قول الله: «سَلَبْتُمُونِي» (ملاخي 3: 8)؟

4- أمر المسيح المريض: «مُدَّ يَدَكَ» وتطلَّب هذا شجاعة من المريض. كيف؟

5- برهن أن المسيح جاء مشرِّعاً.

6- اهتم المسيح دوماً بالجوهر. كيف ترى من هذه المعجزة اهتمامه بالجوهر؟

7- في هذه المعجزة ترى المسيح الإنسان. اشرح.

المعجزة التاسعة

شفاء عبد قائد المئة

«1وَلَمَّا أَكْمَلَ أَقْوَالَهُ كُلَّهَا فِي مَسَامِعِ الشَّعْبِ دَخَلَ كَفْرَنَاحُومَ. 2وَكَانَ عَبْدٌ لِقَائِدِ مِئَةٍ مَرِيضاً مُشْرِفاً عَلَى الْمَوْتِ، وَكَانَ عَزِيزاً عِنْدَهُ. 3فَلَمَّا سَمِعَ عَنْ يَسُوعَ أَرْسَلَ إِلَيْهِ شُيُوخَ الْيَهُودِ يَسْأَلُهُ أَنْ يَأْتِيَ وَيَشْفِيَ عَبْدَهُ. 4فَلَمَّا جَاءُوا إِلَى يَسُوعَ طَلَبُوا إِلَيْهِ بِاجْتِهَادٍ قَائِلِينَ: «إِنَّهُ مُسْتَحِقٌّ أَنْ يُفْعَلَ لَهُ هَذَا 5لأَنَّهُ يُحِبُّ أُمَّتَنَا وَهُوَ بَنَى لَنَا الْمَجْمَعَ». 6فَذَهَبَ يَسُوعُ مَعَهُمْ. وَإِذْ كَانَ غَيْرَ بَعِيدٍ عَنِ الْبَيْتِ أَرْسَلَ إِلَيْهِ قَائِدُ الْمِئَةِ أَصْدِقَاءَ يَقُولُ لَهُ: «يَا سَيِّدُ لاَ تَتْعَبْ. لأَنِّي لَسْتُ مُسْتَحِقّاً أَنْ تَدْخُلَ تَحْتَ سَقْفِي. 7لِذَلِكَ لَمْ أَحْسِبْ نَفْسِي أَهْلاً أَنْ آتِيَ إِلَيْكَ. لَكِنْ قُلْ كَلِمَةً فَيَبْرَأَ غُلاَمِي. 8لأَنِّي أَنَا أَيْضاً إِنْسَانٌ مُرَتَّبٌ تَحْتَ سُلْطَانٍ لِي جُنْدٌ تَحْتَ يَدِي. وَأَقُولُ لِهَذَا: اذْهَبْ فَيَذْهَبُ وَلآخَرَ: ائْتِ فَيَأْتِي وَلِعَبْدِي: افْعَلْ هَذَا فَيَفْعَلُ». 9وَلَمَّا سَمِعَ يَسُوعُ هَذَا تَعَجَّبَ مِنْهُ وَالْتَفَتَ إِلَى الْجَمْعِ الَّذِي يَتْبَعُهُ وَقَالَ: «أَقُولُ لَكُمْ: لَمْ أَجِدْ وَلاَ فِي إِسْرَائِيلَ إِيمَاناً بِمِقْدَارِ هَذَا». 10وَرَجَعَ الْمُرْسَلُونَ إِلَى الْبَيْتِ فَوَجَدُوا الْعَبْدَ الْمَرِيضَ قَدْ صَحَّ» (لوقا 7: 1–10).

(وردت هذه المعجزة أيضاً في متى 8: 5–13).

قال متى إن القائد ذهب إلى المسيح يطلب شفاء عبده، وقال لوقا إن القائد أرسل شيوخ اليهود إلى المسيح يطلبون منه ذلك. وليس بين الروايتين تناقض، لأن القائد جاء إلى المسيح بواسطة شيوخ اليهود. وقال الشيوخ للمسيح عن قائد المئة : «لأَنَّهُ يُحِبُّ أُمَّتَنَا وَهُوَ بَنَى لَنَا الْمَجْمَعَ» وواضح أن قائد المئة لم يبنِ المجمع بيديه، لكنه بناه بواسطة البنائين والنجارين، فهو بنى «بغير يديه»! وهكذا لم يجئ قائد المئة إلى المسيح بنفسه، لكن بواسطة شيوخ اليهود!

وقدم البشير متى وصفاً وافياً لحالة العبد المريض إذ قال: «غُلاَمِي مَطْرُوحٌ فِي الْبَيْتِ مَفْلُوجاً مُتَعَذِّباً جِدًّا» وقال لوقا: «كَانَ عَبْدٌ لِقَائِدِ مِئَةٍ مَرِيضاً مُشْرِفاً عَلَى الْمَوْتِ، وَكَانَ عَزِيزاً عِنْدَهُ».

وتشدُّنا في هذا الأصحاح شخصية المسيح بطريقة خاصة، فهو المخلّص الحي الذي أجرى المعجزة قديماً، والذي لا يزال يجري معجزات اليوم. «يَسُوعُ الْمَسِيحُ هُوَ هُوَ أَمْساً وَالْيَوْمَ وَإِلَى الأَبَدِ» (عبرانيين 13: 8). ويلفت نظرنا في هذه المعجزة قائد المئة، بأخلاقياته، وتواضعه وإيمانه. ونصلي أن يجعلنا الله مُحبّين، متواضعين، مؤمنين مثل قائد المئة، لننال من الرب بركة لنا ولبيوتنا وللذين نتعامل معهم.

يذكرنا قائد المئة بقائد مئة فاضل آخر، هو كرنيليوس (أعمال الرسل 10). كان وثنياً بحسب ديانته التي وُلد فيها، ولكنه لم يجد فيها شبعه، فجاء يفتش عن الحق، تماماً كما فعل وزير مالية الحبشة (أعمال 8)؛ وكما فعلت ليديا بائعة الأرجوان من ثياتيرا المتعبدة لله، وهي تريد أن تتقرَّب إلى الرب أكثر، فتوصَّلت إلى معرفة المسيح المخلّص (أعمال 16).

قال البشير يوحنا إن المسيح جاء ليجمع أبناء الله المتفرقين إلى واحد (يوحنا 11: 52). جاء ليجتذب قائد المئة الروماني الذي جاء من إيطاليا ويدخله إلى الحظيرة. ولا ندري ما هي جنسية ذلك العبد المريض الذي كان مشرفاً على الموت فشفاه المسيح. لا نعرف من أين خُطف أو أُسر ليُباع لقائد المئة في كفرناحوم. لكن المسيح جاء لينقض حائط السياج المتوسط (أي العداوة) بين البشر، ليجمع أبناء الله من جنسياتهم المختلفة إلى واحد

(أفسس 2: 14). وما أجمل قوله: «لِي خِرَافٌ أُخَرُ لَيْسَتْ مِنْ هَذِهِ الْحَظِيرَةِ، يَنْبَغِي أَنْ آتِيَ بِتِلْكَ أَيْضاً فَتَسْمَعُ صَوْتِي، وَتَكُونُ رَعِيَّةٌ وَاحِدَةٌ وَرَاعٍ وَاحِدٌ» (يوحنا 10: 16). ونشكر الله من أجل الذين يجيئون إلى المسيح من كل حظيرة أو خلفية ليكتشفوه ويعرفوه المخلّص الحي المبارك.

أولاً: المحتاج والمعجزة

1- العبد المريض:

هو المحتاج الفعلي لهذه المعجزة، ولكنه كان عاجزاً عن أن يجيء إلى المسيح، ولم تكن حالته الصحية تسمح بحمله إليه. كان في وضع مؤلم للغاية، معذّب. ولكن قائد المئة تبنَّى مشكلته، فذهب يتحدث بدلاً منه (بواسطة شيوخ اليهود) للمسيح. ونرى هنا عاجزاً يعجز عن مساعدة نفسه، يخدمه عاجز آخر هو قائد المئة، يطلب من عاجزين آخرين أن يوصّلوه إلى القادر على كل شيء!

نجد كثيرين في مجتمعنا اليوم يشبهون هذا العاجز. إنهم يحتاجون إلى المسيح، لكنهم لا يرون هذا الاحتياج لأن الخطية تصيبهم بالشلل. وهم يحتاجون إلى من يتكلم إلى الرب بدلاً منهم. فليعطنا الرب نعمة لنتبنَّى قضايا كثيرين بعيدين عن الرب.. نحبهم ونصلي من أجلهم، ونرجو أن الله يتعامل معهم ليشفيهم من خطيتهم.

2- قائد المئة:

(أ) رجلٌ محب: كان العبد يُشترى بالمال ولكنه كان «عَزِيزاً عِنْدَهُ» (آية 2). كان الناس يعتبرون العبد شيئاً وليس شخصاً، وكان موت العبد مجرد خسارة مادية لا أكثر. لكن قائد المئة كان يُقيّم عبده تقييماً يختلف عن تقييم أهل عصره، فرآه شخصاً وعزيزاً. وكان قائد المئة محباً لكل المواطنين فقال اليهود عنه: «يُحِبُّ أُمَّتَنَا» (آية 5). ولم تكن محبته كلاماً ولا تعاطفاً شاعرياً بل كانت عملاً لأنه بنى لهم مجمعاً للعبادة. وقائد المئة بحسب وظيفته متخصص في القتل والحرب وإراقة الدماء، وكانت الأمة اليهودية كثيرة الثورة والعصيان فكان جنود الرومان الذين يجيئون إلى فلسطين في غاية الشراسة والعنف ليقمعوا الثورات الكثيرة. ولا بد أن قائد المئة هذا احتل مكانته لأنه قوي قادر أن يقمع الثورات. لكن بالرغم من ذلك نرى أنه في موقع الشراسة والعنف كان غايةً في المحبة والرقة. لم تؤثر طبيعة وظيفته عليه، ولم يصبغه مجتمعه، ولم يؤثر محيطه فيه، لكنه هو الذي صبغ مجتمعه، وأثَّر في محيطه! كان هو الشخصية القوية في وظيفته.

يعتذر كثيرون عن خطئهم لأن موقعهم يفرض عليهم ارتكاب الخطأ، لكن قائد المئة هذا كان عظيماً في أنه فرض الصلاح والمحبة على موقعه، وهذا يعلّمنا شيئاً كثيراً عن قدرتنا على أن نعيش إيماننا ومبادئنا مهما كانت الأجواء المحيطة بنا معاكسة لنا.

ولا بد أن عبد قائد المئة كان أميناً مُخلصاً لسيده. ولنتذكر أننا عبيد للرب، فنحن خليقته، وقد أَسَرتنا محبتُه، ونحن أحباء عنده، فيجب أن نكون أمناء له، لنسمع الكلمة الحلوة: «نِعِمَّا أَيُّهَا الْعَبْدُ الصَّالِحُ الأَمِينُ. كُنْتَ أَمِيناً فِي الْقَلِيلِ فَأُقِيمُكَ عَلَى الْكَثِيرِ. ادْخُلْ إِلَى فَرَحِ سَيِّدِكَ" (متى 25: 23). ولا يجب أن ننتظر الدخول إلى فرح سيدنا بنهاية حياتنا على الأرض، لكننا ندخل فرح سيدنا الآن هنا، لأننا ندخل إلى محضره، في خدمته، وطاعته ومحبته.

(ب) رجل متواضع: قال شيوخ اليهود: «إِنَّهُ مُسْتَحِقٌّ أَنْ يُفْعَلَ لَهُ هَذَا" (آية 4) لكنه قال عن نفسه: «لَسْتُ مُسْتَحِقّاً أَنْ تَدْخُلَ تَحْتَ سَقْفِي. لِذَلِكَ لَمْ أَحْسِبْ نَفْسِي أَهْلاً أَنْ آتِيَ إِلَيْكَ" (آيتا 6، 7). رأى عدم استحقاقه في بيته وفي شخصه. قال القديس أغسطينوس: «إحساس قائد المئة بعدم استحقاقه لأن يدخل المسيح بيته، جعله مستحقاً أن يدخل المسيح قلبه».

دخل المسيح بيوت متكبرين كثيرين، فلم ينالوا البركة لأنه لم يدخل قلوبهم. أما قائد المئة هذا فلم يدخل المسيح بيته، لكنه دخل قلبه وأشبع احتياجه. فالمتواضع هو الذي يصف نفسه ويقيّمها تقييماً سليماً. قال قائد المئة للمسيح: «لأَنِّي أَنَا أَيْضاً إِنْسَانٌ مُرَتَّبٌ تَحْتَ سُلْطَانٍ لِي جُنْدٌ تَحْتَ يَدِي" (آية 8). «مرتَّب» أي صاحب رتبة، له جند تحت يده، لكنه في نفس الوقت تحت سلطان. فالمؤمن هو الذي لا يرتئي فوق ما ينبغي أن يرتئي (رومية 12: 3) ولا يقيِّم نفسه بأفضل من اللازم، لكنه يُقيم نفسه تقييماً صحيحاً بحساب العقل، وهو يعلم ما قسمه الله له من عطايا ومواهب. فالمتواضع يعرف القيمة الحقيقية لما عنده من قوة وضعف، وما له من إمكانيات وما هو عاجز عن عمله. وعندما نقيّم أنفسنا تقييماً سليماً نتعلم التواضع.

ذهب تلميذ في أجازة الصيف من مدينة القاهرة إلى الريف لزيارة جده الذي كان مزارعاً. وسار الولد وسط حقول القمح، ولاحظ شيئاً جعله يقول لجدّه: «انظر يا جدي أعواد القمح المرتفعة الرؤوس! ما أقواها! وهذه أعواد منكسة. لا بد أنها خجلانة!». فابتسم الجد وقال مصححاً خطأ الحفيد: «عود القمح المنتصب لا يحمل قمحاً. لكن العود المنحني هو الذي يحمل قمحاً كثيراً. الأعواد التي رفعت رأسها هي الفارغة، أما الملآنة فانحنت». ليعطنا إلهنا التواضع الذي يجعلنا ننحني أمام الله قائلين: «لَسْتُ مُسْتَحِقّاً أَنْ تَدْخُلَ تَحْتَ سَقْفِي. لِذَلِكَ لَمْ أَحْسِبْ نَفْسِي أَهْلاً أَنْ آتِيَ إِلَيْكَ".

(ج) رجل مؤمن: قال «قُلْ كَلِمَةً فَيَبْرَأَ غُلاَمِي». كان هذا الرجل العسكري، الذي يُصدر أوامره فتُنفَّذ دائماً، يعرف أنه دُفع للمسيح كل سلطان في السماء وعلى الأرض، فآمن بقوة كلمة «الكلمة الحي» ووضع نفسه موضع الأدنى الذي يخاطب الأعلى، وعَرَض «ما يستحيل إنجازه» على «القادر على الإنجاز». لقد رأى قائد المئة في ابن مريم نجار الناصرة، صانع المعجزة وصاحب السلطان، الذي تسافر كلمته إلى بعيد وتصل إلى حيث يرقد العبد المريض المشرف على الموت.

ولم يطلب قائد المئة من المسيح علامة على شفاء عبده، لكنه صدَّق أن كلمة المسيح تُجري المعجزة. وقد كان! فأكرم المسيح إيمانه «وَالْتَفَتَ إِلَى الْجَمْعِ الَّذِي يَتْبَعُهُ وَقَالَ: أَقُولُ لَكُمْ: لَمْ أَجِدْ وَلاَ فِي إِسْرَائِيلَ إِيمَاناً بِمِقْدَارِ هَذَا». الإيمان العظيم موضوعه عظيم، فموضوع إيماننا هو المهم. ربما وضع قائد المئة ثقته في طبيب بشري عجز عن شفاء عبده، وربما أخذه لأحد شيوخ اليهود ليصلي من أجله دون أن يُشفى. لكن عندما وضع إيمانه في من يستحق أن يُؤمَن به، تحقق الشفاء.

كان نابليون يستعرض جنوده عندما أفلت منه لجام حصانه فجرى الحصان. وتقدم جندي بشجاعة وأوقف الحصان وأعاد اللجام للإمبراطور. فقال له: «شكراً أيها القائد. أنا مديون لك». وبسرعة قال الجندي: «قائد أية فرقة يا سيدي؟». فأُعجب به نابليون وقال: «فرقة حرسي الخاص». فألقى الجندي بندقيته وقال: «ليأخذها من يريدها!» ومضى ليقود فرقة الحرس الخاص بنابليون!

كان إيمان قائد المئة عظيماً لأنه صدق أن شفاء عبده تمَّ فوراً وليس تدريجياً. ونرى عظمة إيمانه بمقارنته بإيمان اليهود، فلم يكن في إسرائيل إيمان بمقدار إيمانه.

ثانياً: شيوخ اليهود والمعجزة

تركَّز كل اهتمام شيوخ اليهود على قائد المئة، ولم يكن العبد المريض ولا المسيح يعنونهما في شيء. قالوا: «إِنَّهُ مُسْتَحِقٌّ أَنْ يُفْعَلَ لَهُ هَذَا، لأَنَّهُ يُحِبُّ أُمَّتَنَا وَهُوَ بَنَى لَنَا الْمَجْمَعَ». كثيرون لهم نظرة سطحية، ولا يدخلون إلى العمق. فهؤلاء الشيوخ بعد أن قدموا طلب القائد انسحبوا من المشهد، لأنهم عملوا واجباً كلفهم به قائد المئة، وتصرفوا مثل زملائهم الذين سألهم هيرودس عن مكان مولد المسيح، فأجابوه: «فِي بَيْتِ لَحْمٍ

الْيَهُودِيَّةِ» (متى 2: 5). لكن لم يتحرك واحد منهم إلى بيت لحم القريبة ليرى ذلك المولود الذي عرفوا كل النبوات عنه وحفظوها. فالفكر السطحي لا ينال بركة. لم ينتقدوا المسيح في هذه المعجزة، لكنهم كانوا مجرد متفرجين ينقلون إليه طلب قائد المئة. وانتهى دورهم بتوصيل العاجز بالقادر. أما هم فلم يستفيدوا لأنفسهم شيئاً. كانوا مجرد «عامل مساعد» في شفاء العبد.

ثالثاً: المسيح والمعجزة

1- تواضع المسيح:

قال المسيح لقائد المئة: «أَنَا آتِي وَأَشْفِيهِ» (متى 8: 7). لقد تلقى طلب قائد المئة عن طريق شيوخ اليهود بالترحيب والمحبة، وكان مستعداً أن يذهب، وذهب فعلاً: «فَذَهَبَ يَسُوعُ مَعَهُمْ» (لوقا 7: 6). وكم لمسنا نحن مجيئه إلينا.

هناك مجيئان كبيران للمسيح: الأول عندما جاءنا مولوداً في مذود، ومجيئه الثاني في نهاية العالم ليدين الأحياء والأموات، والذي ننتظره كلنا.. لكن بين هذين المجيئين العظيمين، يجيء المسيح لكل مؤمن آلاف المرات: في المكتب ليعاونه على حل مشكلة في العمل، أو على الفراش ليسنده في مواجهة مرض، أو في الوحدة والإحساس بالتوتر ليمنحه السلام، أو عندما تهيج أمواج الحياة ليُسكتها. وعندما نبتسم يكون قد جاءنا لأنه هو مصدر الابتسامة والفرحة. إنه يجيء دائماً ولا يتأخر: يستحيل أن نطلبه ولا نجده، فعندما نطلب نجد، لا الأشياء المادية فقط، لكننا نجد شخصه.

2- سرعة المسيح:

«أَنَا آتِي وَأَشْفِيهِ». إنه لا يتأخر عنا! حتى عندما تأخر عن الأختين مريم ومرثا فوصل بعد موت أخيهما لعازر بأربعة أيام، كان ذلك ليعطيهما بركة أكبر من مجرد شفاء المرض. لا يتباطأ كما يحسب قوم التباطؤ (2بطرس 3: 9) لكنه يجيء في الموعد المناسب ليكرمنا أكثر، وليعطينا بركة أعظم. ربما نعاتبه كثيراً، لكن لا زالت كلماته الحلوة تعزي قلوبنا في مجيئه إلينا سريعاً.

3- قوة المسيح:

لكلمته سلطان «كُلُّ شَيْءٍ بِهِ كَانَ» (يوحنا 1: 3). هو صانع كل شيء. هو الذي يمد يده إلى موضع الضعف مباشرة ليشفيه ويعالجه ويعالج المشكلة التي تؤرق بالنا. كثيراً ما نشخِّص مشاكلنا تشخيصاً خاطئاً، لكنه يشخِّص التشخيص السليم، ويقدم العلاج المناسب بمحبة كاملة وحقيقية وقادرة.

جاء المسيح «لِكَيْ يَطْلُبَ وَيُخَلِّصَ مَا قَدْ هَلَكَ» (لوقا 19: 10). وهو نفسه تجسَّد «لِكَيْ يُبِيدَ بِالْمَوْتِ ذَاكَ الَّذِي لَهُ سُلْطَانُ الْمَوْتِ، أَيْ إِبْلِيسَ، وَيُعْتِقَ أُولَئِكَ الَّذِينَ خَوْفاً مِنَ الْمَوْتِ كَانُوا جَمِيعاً كُلَّ حَيَاتِهِمْ تَحْتَ الْعُبُودِيَّةِ» (عبرانيين 2: 14، 15) والمرض أول أعراض الموت «لِكَيْ يَتِمَّ مَا قِيلَ بِإِشَعْيَاءَ النَّبِيِّ: هُوَ أَخَذَ أَسْقَامَنَا وَحَمَلَ أَمْرَاضَنَا» (متى 8: 17). وجسدنا مهم عنده لأنه الهيكل الذي يحل فيه الروح القدس، ولأنه سيقيمه في القيامة في اليوم الأخير.

4- تحذير المسيح:

««أَقُولُ لَكُمْ: لَمْ أَجِدْ وَلاَ فِي إِسْرَائِيلَ إِيمَاناً بِمِقْدَارِ هَذَا» (آية 9). هذه كلمات مدح لقائد المئة، وهي في الوقت نفسه توبيخ لأمة اليهود! كلما نظرنا إلى شخص جاء إلى المسيح من حظيرة أخرى، يعيش مع الرب ويحبه ويضحي في سبيله نرفع الشكر من أجله، ونسأل: هل الذين جاءوا للمسيح «من هذه الحظيرة» يحبونه ويخدمونه ويضحون من أجله، كما يفعل الذين جاءوه من حظيرة أخرى؟ (يوحنا 10: 16).

لنسلم أنفسنا للمحب المتواضع صاحب السلطان، ليحوّلنا من جماعة آخذين إلى جماعة خادمين، بقوة إيمان ومحبة وتواضع.

صلاة

أبانا السماوي، أشكرك لأجل قوتك العظيمة ومحبتك غير المحدودة، التي تنعم عليَّ باحتياجي في حينه. فعندما تصل إمكانياتي إلى نهايتها تتدخَّل أنت بنعمتك لتعمل المعجزة التي تقصُر كلماتي عن وصفها، ويعجز لساني عن أن يوفيك الشكر الواجب عليها. باسم المسيح آمين.

أسئلة

1- كيف تشرح ما يظهر تناقضاً بين رواية متى ولوقا في طلب قائد المئة من المسيح أن يشفي عبده؟

2- كيف جمع المسيح في هذه المعجزة أبناء الله المتفرّقين إلى واحد؟

3- كيف تتبنَّى قضية شخص يعجز عن المجيء إلى المسيح؟

4- كيف ظهر تواضع قائد المئة؟

5- كيف ظهرت محبة قائد المئة؟

6- كيف ترى تواضع المسيح في هذه المعجزة؟

7- قدَّم المسيح لنا في هذه المعجزة تحذيراً، ما هو؟

المعجزة العاشرة

إقامة ابن أرملة نايين

«11وَفِي الْيَوْمِ التَّالِي ذَهَبَ إِلَى مَدِينَةٍ تُدْعَى نَايِينَ وَذَهَبَ مَعَهُ كَثِيرُونَ مِنْ تَلاَمِيذِهِ وَجَمْعٌ كَثِيرٌ. 12فَلَمَّا اقْتَرَبَ إِلَى بَابِ الْمَدِينَةِ إِذَا مَيْتٌ مَحْمُولٌ ابْنٌ وَحِيدٌ لأُمِّهِ وَهِيَ أَرْمَلَةٌ وَمَعَهَا جَمْعٌ كَثِيرٌ مِنَ الْمَدِينَةِ. 13فَلَمَّا رَآهَا الرَّبُّ تَحَنَّنَ عَلَيْهَا وَقَالَ لَهَا: «لاَ تَبْكِي». 14ثُمَّ تَقَدَّمَ وَلَمَسَ النَّعْشَ فَوَقَفَ الْحَامِلُونَ. فَقَالَ: «أَيُّهَا الشَّابُّ، لَكَ أَقُولُ قُمْ». 15فَجَلَسَ الْمَيْتُ وَابْتَدَأَ يَتَكَلَّمُ فَدَفَعَهُ إِلَى أُمِّهِ. 16فَأَخَذَ الْجَمِيعَ خَوْفٌ وَمَجَّدُوا اللهَ قَائِلِينَ: قَدْ قَامَ فِينَا نَبِيٌّ عَظِيمٌ وَافْتَقَدَ اللهُ شَعْبَهُ». 17وَخَرَجَ هَذَا الْخَبَرُ عَنْهُ فِي كُلِّ الْيَهُودِيَّةِ وَفِي جَمِيعِ الْكُورَةِ الْمُحِيطَةِ» (لوقا 7: 11–17).

ما أعظم المحبة التي تمتد لأكثر الناس بؤساً يعيشون في أحقر الأماكن لتُبدّل حزنهم القاتل إلى فرح طاغٍ! جرت هذه المعجزة في قرية نايين الحقيرة القريبة من كفرناحوم، فخلدها التاريخ بفضل هذه المعجزة التي جرت فيها، عندما أقام المسيح الشاب الميت، الابن الوحيد لأمه الأرملة.

كانت نايين تقع بالقرب من شونم حيث أقام النبي أليشع بإذن الله وقوته ابن الشونمية من الموت (ملوك الثاني 4)، وذلك قبل تسع مئة سنة من إقامة ابن أرملة نايين. وأقام المسيح بسلطان كلمته ابن الأرملة، عندما قال له: «أَيُّهَا الشَّابُّ، لَكَ أَقُولُ قُمْ».

دخل المسيح مع مجموعة من أتباعه قرية نايين في الوقت الذي كان يخرج فيه من بابها موكبٌ آخر يحمل ميتاً، وإذا برب الحياة ورئيسها يواجه الموت مواجهة مباشرة، وكأن إبليس يتحدى المسيح ويقول: «لقد أخذتُ هذا الشاب فريسةً، فمن ينقذه من يدي؟».

وكشفت لنا هذه المواجهة، لا معجزة واحدة من إقامة ابن الأرملة من بين الأموات، ولكن معجزة حياة المسيح كلها. فالمسيح الذي جاءنا إنساناً مولوداً من امرأة تحت الناموس، وعاش بيننا واختبر كل ما اختبرناه (ما عدا الخطية) مات ودُفن. لكنه قام من بين الأموات. وخدمته كلها هي إقامة الموتى الذين قتلتهم الخطية ودمرت حياتهم. وهو يقول: «إِنِّي أَنَا حَيٌّ فَأَنْتُمْ سَتَحْيَوْنَ» (يوحنا 14: 19). وعندما أقام لعازر قال: «أَنَا هُوَ الْقِيَامَةُ وَالْحَيَاةُ. مَنْ آمَنَ بِي وَلَوْ مَاتَ فَسَيَحْيَا. وَكُلُّ مَنْ كَانَ حَيّاً وَآمَنَ بِي فَلَنْ يَمُوتَ إِلَى الأَبَدِ» (يوحنا 11: 25، 26). قال هذه الكلمات وبرهنها عندما أقام لعازر، وبرهنها أيضاً عندما قام هو من الأموات، ويقولها اليوم لكل واحد منا ويبرهنها إذ يقيمنا من موت الخطية، فيتحقق قوله: «اَلْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّهُ تَأْتِي سَاعَةٌ وَهِيَ الآنَ حِينَ يَسْمَعُ الأَمْوَاتُ صَوْتَ ابْنِ اللَّهِ، وَالسَّامِعُونَ يَحْيَوْنَ. لأَنَّهُ كَمَا أَنَّ الآبَ لَهُ حَيَاةٌ فِي ذَاتِهِ كَذَلِكَ أَعْطَى الابْنَ أَيْضاً أَنْ تَكُونَ لَهُ حَيَاةٌ فِي ذَاتِهِ، وَأَعْطَاهُ سُلْطَاناً أَنْ يَدِينَ أَيْضاً لأَنَّهُ ابْنُ الإِنْسَانِ» (يوحنا 5: 25–27).

هذه هي القيامة الأولى من موت خطيتنا: «تَأْتِي سَاعَةٌ وَهِيَ الآنَ» حين يسمع أموات الخطية صوت ابن الله، والسامعون الذين يفتحون آذانهم وقلوبهم له يحيون، إذ يُجري الرب معهم المعجزة التي أجراها مع ابن أرملة نايين، لأن للمسيح حياة في ذاته. وتأتي ساعة أخرى في المستقبل، لأن المسيح هو الديان. «تَأْتِي سَاعَةٌ فِيهَا يَسْمَعُ جَمِيعُ الَّذِينَ فِي الْقُبُورِ صَوْتَهُ، فَيَخْرُجُ الَّذِينَ فَعَلُوا الصَّالِحَاتِ إِلَى قِيَامَةِ الْحَيَاةِ، وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَى قِيَامَةِ الدَّيْنُونَةِ» (يوحنا 5: 28، 29).

لم يكن أحد قد قام من الأموات منذ تسعمائة سنة (قارن 2ملوك 4). فلماذا اختار المسيح هذه الأرملة ليقيم ابنها؟ ألم يمُت في فلسطين في ذلك اليوم عشرات الشباب؟

وللإجابة نقول إننا نجهل أسرار النعمة الإلهية. ولكن في كل مرة تختصُّنا العناية الإلهية ببركة، ويلمسنا الله بلمسة شخصية تميزنا عن كثيرين حولنا، نتذكر قوله الكريم: «لَيْسَ أَنْتُمُ اخْتَرْتُمُونِي بَلْ أَنَا اخْتَرْتُكُمْ وَأَقَمْتُكُمْ لِتَذْهَبُوا وَتَأْتُوا بِثَمَرٍ وَيَدُومَ ثَمَرُكُمْ» (يوحنا 15: 16). هنا يجب أن نرفع صلاة شكر بكل تواضع، لأن لا حقَّ لنا في شيء، ولكننا نتمتع بنعمة موهوبة أعطاها الله لنا من محبته.

أولاً: المحتاج والمعجزة

في هذه المعجزة نرى المحتاج للمعجزة أرملةً مات زوجها، والآن مات ولدها الوحيد، محلّ محبتها، وعائلها. فهي أرملة لا أمل لها في المستقبل (حسب الجسد). كانت صدمتها الأولى يوم موت زوجها قاسية، وها هي الصدمة الثانية القاتلة بموت وحيدها! كانت مجرَّبة وحزينة.

والله في محبته يدرك وقع هذه التجربة القاسية على البشر، وقد وصفها بقوله: «أُفِيضُ عَلَى بَيْتِ دَاوُدَ وَعَلَى سُكَّانِ أُورُشَلِيمَ رُوحَ النِّعْمَةِ وَالتَّضَرُّعَاتِ، فَيَنْظُرُونَ إِلَيَّ الَّذِي طَعَنُوهُ، وَيَنُوحُونَ عَلَيْهِ كَنَائِحٍ عَلَى وَحِيدٍ لَهُ، وَيَكُونُونَ فِي مَرَارَةٍ عَلَيْهِ كَمَنْ هُوَ فِي مَرَارَةٍ عَلَى بِكْرِهِ» (زكريا 12: 10). هذا وصف كتابي للألم النفسي العاطفي الذي واجهته تلك الأرملة التي فقدت ابنها الوحيد.

صُدمت هذه السيدة الصدمة الأليمة التي هي أقسى نتائج الخطية. «بِإِنْسَانٍ وَاحِدٍ دَخَلَتِ الْخَطِيَّةُ إِلَى الْعَالَمِ، وَبِالْخَطِيَّةِ الْمَوْتُ، وَهَكَذَا اجْتَازَ الْمَوْتُ إِلَى جَمِيعِ النَّاسِ إِذْ أَخْطَأَ الْجَمِيعُ» (رومية 5: 12). شربت أرملة نايين جُرعة مرارة مركزة قُدمت في كأسها، لأنها رأت أردأ نتائج الخطية مرتين.

أحياناً يكون صوت آلامنا أعلى من صوت صلواتنا. وقلب الرب يتحرك نحونا في حزننا، وهو يرى دموعنا وانكسار نفوسنا والمرارة التي تعتصر قلوبنا. وقد يكون هذا بسماح كريم منه، لا ندري سببه. وقد يكون أجرة ما نفعل، أو نتيجة سوء معاملة الآخرين لنا. وفي كل هذه الظروف يقف الله معنا لأنه يعرف حجم الألم، كما يعرف محدودية قدرتنا على الاحتمال. وهذا ما شعر به المحيطون بالمعجزة، فوصفوا ما فعله المسيح مع الأرملة الحزينة بقولهم: «افْتَقَدَ اللهُ شَعْبَهُ» (لوقا 7: 16) بمعنى أنه جاء يزورنا ويسأل عنا. ونحن دائماً نكتشف أن الله لا يتركنا، بل يفتقدنا ويجيء إلينا ويقف إلى جوارنا يخفف ألمنا ويسندنا.

ثانياً: المشاهدون والمعجزة

1- لما لمس المسيح النعش وقفوا:

دعونا نتصوَّر الموقف، فنرى أماً تبكي خلف جماعة تحمل نعش ابنها متَّجهة إلى المقابر، ثم نرى مجموعة أخرى من الناس تدخل المدينة والمسيح في وسطها. والعادة أن تنضمَّ المجموعتان لتتجها معاً إلى المدافن للتعبير عن مشاعر التعاطف مع الأرملة المكلومة. لكن المسيح اعترض الموكب! كان من الطبيعي أن تمنعه المجموعة الأولى لتكمل مسيرتها ومهمتها المقدسة وهي دفن الميت. لكن الكتاب يقول لنا: «فَوَقَفَ الْحَامِلُونَ». لا بد أن جلال وجه المسيح ونبرة صوته بكل ما فيهما من محبة وسلطان جعلتهم يقفون.

لقد اختبرنا مرة ومرات أننا نسير في طريق نظن أننا نؤدي فيه واجباً مهماً، ولكن المسيح اعترض طريقنا بكلمة من الإنجيل، أو بتعامل شخصي، أو بلمسة روحية، فأوقف ما نفعله، وإذا مسار حياتنا يتغيَّر إلى

الأفضل والأحسن. لذا وجب أن تكون لدينا حساسية للمسة يده وتوجيه كلمته، لنغيِّر مسارنا حسب توجيهه، انتظاراً لما يقوله لنا.

2- مجَّد المشاهدون الله:

لما قام الميت وتكلم، دفعه المسيح إلى أمه «فَأَخَذَ الْجَمِيعَ خَوْفٌ وَمَجَّدُوا اللهَ قَائِلِينَ: قَدْ قَامَ فِينَا نَبِيٌّ عَظِيمٌ وَافْتَقَدَ اللهُ شَعْبَهُ». لا بد أنهم تذكروا النبي إيليا لما أقام ابن الأرملة من الموت (1ملوك 17: 17-24)، وتذكروا النبي أليشع لما أقام ابن المرأة الشونمية (2ملوك 4: 8-37). وقولهم إن المسيح «نبي عظيم» يعني أنهم لم يكتشفوا كل نواحي شخصية المسيح. فهناك بُعد آخر للمسيح. صحيح إنه نبي، ولقَّب نفسه بأنه نبي عندما قال: «لَيْسَ نَبِيٌّ بِلاَ كَرَامَةٍ إِلاَّ فِي وَطَنِهِ وَفِي بَيْتِهِ» (متى 13: 57). لكنه أعظم من نبي! إنه موضوع النبوة، فقد تحدثت النبوات عنه وشهدت له، حتى قال هو: «فَتِّشُوا الْكُتُبَ.. وَهِيَ الَّتِي تَشْهَدُ لِي» (يوحنا 5: 39).

ثم أن المسيح صانع النبوة، فقد تنبأ بالكثير الذي تحقق، والكثير الذي سيتحقق. لقد تنبأ بموته مصلوباً لما قال: «إِنَّ ابْنَ الإِنْسَانِ يُسَلَّمُ إِلَى أَيْدِي النَّاسِ فَيَقْتُلُونَهُ، وَبَعْدَ أَنْ يُقْتَلَ يَقُومُ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ» (مرقس 9: 31) وقد كان. ولا زلنا ننتظر تحقيق نبواته عن مجيئه ثانية إلى أرضنا، حسب قوله «هَا أَنَا آتِي سَرِيعاً وَأُجْرَتِي مَعِي لأُجَازِيَ كُلَّ وَاحِدٍ كَمَا يَكُونُ عَمَلُهُ. أَنَا الأَلِفُ وَالْيَاءُ، الْبِدَايَةُ وَالنِّهَايَةُ، الأَوَّلُ وَالآخِرُ» (رؤيا 22: 12، 13).

ولا زال المسيح يعمل فينا بروحه لنكتشف الجانب الأعمق من شخصيته، فندرك أنه «بِالإِجْمَاعِ عَظِيمٌ هُوَ سِرُّ التَّقْوَى: اللهُ ظَهَرَ فِي الْجَسَدِ» (1تيموثاوس 3: 16). فإنه «لَيْسَ أَحَدٌ يَقْدِرُ أَنْ يَقُولَ: يَسُوعُ رَبٌّ، إِلاَّ بِالرُّوحِ الْقُدُسِ» (1كورنثوس 12: 3).

3- أدرك المشاهدون أن الله افتقد شعبه:

بعد أن قام الميت قال المشاهدون: «افْتَقَدَ اللهُ شَعْبَهُ» بمعنى أن الله زار شعبه بتدخُّل إلهي، كما تقول التوراة إن نعمي: «قَامَتْ هِيَ وَكَنَّتَاهَا وَرَجَعَتْ مِنْ بِلاَدِ مُوآبَ، لأَنَّهَا سَمِعَتْ فِي بِلاَدِ مُوآبَ أَنَّ الرَّبَّ قَدِ افْتَقَدَ شَعْبَهُ لِيُعْطِيَهُمْ خُبْزاً» (راعوث 1: 6) وفي نايين افتقد الله شعبه فأعطاهم حياة.

جميل أن يدرك المحيطون بالمسيح أن انتعاشاً روحياً جاء إلى العالم، لأن الله يقترب من البشر ويزورهم للافتقاد والسؤال عن احتياجاتهم. وكم زارنا المسيح ونحن على فراش مرضٍ فشفانا، ونحن في ضيق ففرج كربتنا، ونحن في خوف فأزال خوفنا، فاكتشفنا مرات أننا كنا نخاف من شيء غير موجود، وأن الخوف في داخلنا فقط لكنه ليس من حولنا. يزورنا المسيح في وقت خطر حقيقي وآخر وهمي. إنه يزورنا دائماً.

ثالثاً: المسيح والمعجزة

1- المسيح المُغيِّر:

عندما يلتقي المسيح بنا ويواجهنا يتغيَّر حالنا كله. عندما التقى بالأرملة التي تبكي لموت ابنها تحولت إلى أرملة فرحة لعودة ابنها إليها. «إِذاً إِنْ كَانَ أَحَدٌ فِي الْمَسِيحِ فَهُوَ خَلِيقَةٌ جَدِيدَةٌ. الأَشْيَاءُ الْعَتِيقَةُ قَدْ مَضَتْ. هُوَذَا الْكُلُّ قَدْ صَارَ جَدِيداً» (2كورنثوس 5: 17). وكلنا نحتاج إلى مجيئه إلينا كما تقول ترنيمة جميلة: «تعال بيننا. أقم عندنا. وخُذ من قلوبنا لك مسكناً» فنسمع قوله: «عَزُّوا عَزُّوا شَعْبِي يَقُولُ إِلَهُكُمْ. طَيِّبُوا قَلْبَ أُورُشَلِيمَ، وَنَادُوهَا بِأَنَّ جِهَادَهَا قَدْ كَمِلَ، أَنَّ إِثْمَهَا قَدْ عُفِيَ عَنْهُ، أَنَّهَا قَدْ قَبِلَتْ مِنْ يَدِ الرَّبِّ ضِعْفَيْنِ عَنْ كُلِّ خَطَايَاهَا» (إشعياء 40: 1، 2) ويتم فينا قول الرسول بولس: «مُبَارَكٌ اللهُ أَبُو رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، أَبُو الرَّأْفَةِ وَإِلَهُ كُلِّ تَعْزِيَةٍ، الَّذِي يُعَزِّينَا فِي كُلِّ ضِيقَتِنَا، حَتَّى نَسْتَطِيعَ أَنْ نُعَزِّيَ الَّذِينَ هُمْ فِي كُلِّ ضِيقَةٍ بِالتَّعْزِيَةِ الَّتِي نَتَعَزَّى نَحْنُ

بِهَا مِنَ اللهِ» (2كورنثوس 1: 3، 4). يعطينا ماءً حياً، فيجري من بطننا نهر ماء حي (يوحنا 7: 37، 38). يعطينا تعزية شخصية، فنقدر أن نعزي غيرنا.

وهذا سيحدث معنا أيضاً في اليوم الأخير عندما نتواجد في محضره، فنسمع صوتاً عظيماً من السماء قائلاً: «هُوَذَا مَسْكَنُ اللهِ مَعَ النَّاسِ، وَهُوَ سَيَسْكُنُ مَعَهُمْ، وَهُمْ يَكُونُونَ لَهُ شَعْباً. وَاللهُ نَفْسُهُ يَكُونُ مَعَهُمْ إِلَهاً لَهُمْ. وَسَيَمْسَحُ اللهُ كُلَّ دَمْعَةٍ مِنْ عُيُونِهِمْ، وَالْمَوْتُ لاَ يَكُونُ فِي مَا بَعْدُ، وَلاَ يَكُونُ حُزْنٌ وَلاَ صُرَاخٌ وَلاَ وَجَعٌ فِي مَا بَعْدُ، لأَنَّ الأُمُورَ الأُولَى قَدْ مَضَتْ» (رؤيا 21: 3، 4). تمضي الأمور الأولى عندما يأتي ليفتقد شعبه.

2- المسيح الحنون:

تقول لنا نظرة العيان بعد مرور الأزمة: «لا تبكي». لكن الإيمان يقولها أثناء الأزمة. والمسيح يريد أن يحيي في دواخلنا الإيمان إذ يأمرنا بعدم البكاء قبل نوال البركة، لأن إنقاذه آت. لم تستطع الأرملة أن تفهم حكمته، ولكنها فهمتها فيما بعد كما قال المسيح لبطرس: «لَسْتَ تَعْلَمُ أَنْتَ الآنَ مَا أَنَا أَصْنَعُ، وَلَكِنَّكَ سَتَفْهَمُ فِيمَا بَعْدُ» (يوحنا 13: 7).

يضع المسيح يده على كتفنا ليشجعنا والظلام محيطٌ بنا، ويكلمنا بكلمة تشجيعه القوية مع أن الظروف المحيطة قد تناقضها تماماً. لكننا ندرك معنى كلمته ونثق فيها، وعلى كلمته «نلقي الشبكة» واثقين (لوقا 5: 5).

أجرى المسيح بعض معجزاته بناءً على طلب المحتاج نفسه، كما شفى الأبرص (لوقا 5: 12) وأجرى البعض الآخر نتيجة طلب إنسان من أجل آخر، كما حدث في شفاء عبد قائد المئة (لوقا 7: 1) وأجرى معجزات بناءً على محبته، فالأرملة لم تطلب، ولكنه فعل ذلك بدافع عمق محبته «فَلَمَّا رَآهَا الرَّبُّ تَحَنَّنَ عَلَيْهَا وَقَالَ لَهَا: «لاَ تَبْكِي». ثُمَّ تَقَدَّمَ وَلَمَسَ النَّعْشَ فَوَقَفَ الْحَامِلُونَ. فَقَالَ: «أَيُّهَا الشَّابُّ، لَكَ أَقُولُ قُمْ». فَجَلَسَ الْمَيْتُ وَابْتَدَأَ يَتَكَلَّمُ فَدَفَعَهُ إِلَى أُمِّهِ».

مرات ننجو من ضيق لأننا صلينا، ومرات ننجو لأن غيرنا صلى من أجلنا. وفي مرات يسمع أنيننا ويرى ضيقنا فيمد لنا يد حنانه، لأن العين السماوية مفتوحة وساهرة علينا.

3- المسيح القوي:

أمر المسيح بسلطان ذاته: «أَيُّهَا الشَّابُّ، لَكَ أَقُولُ قُمْ» وهو يعلم أن قوة محبته لا تسقط أبداً، فإن «فِيهِ كَانَتِ الْحَيَاةُ، وَالْحَيَاةُ كَانَتْ نُورَ النَّاسِ، وَالنُّورُ يُضِيءُ فِي الظُّلْمَةِ، وَالظُّلْمَةُ لَمْ تُدْرِكْهُ» (يوحنا 1: 4، 5) فلم تلحقه، ولم تفهمه! هو الذي يحيي الموتى، ويدعو الأشياء غير الموجودة كأنها موجودة (رومية 4: 17). سرَت الحياة ثانية في جسد هذا الشاب، لأن المسيح أرجعها من حيث ذهبت إلى الجسد الذي خرجت منه، فقد قال: «دُفِعَ إِلَيَّ كُلُّ سُلْطَانٍ فِي السَّمَاءِ وَعَلَى الأَرْضِ» (متى 28: 18). سلطانه في السماء حيث مضت النفس، وسلطانه على الأرض حيث كان الجسد في النعش، فأعطت السماء النفس، واستقبلتها الأرض، ليرجع الابن لأمه.

بذل إيليا وأليشع جهداً في الصلاة ليقيما ميِّتَين بعمل الله، وفشل جيحزي في إقامة ابن المرأة الشونمية. أما المسيح رب الحياة فأمر الحياة لتعود لجسد ذلك الشاب بأمره المباشر، فعادت.

وقد أقام المسيح رب المجد وصاحب كل سلطان ثلاثة أشخاص من بين الأموات:

أقام ابنة يايرس في المنزل قائلاً: «يَا صَبِيَّةُ، قُومِي» فقامت (مرقس 5: 25-34). وبعضنا يشبه ابنة يايرس في أن خطاياهم داخلية، غير منظورة. والمسيح مستعد أن يقيمنا من موت خطيتنا حتى إذا كانت مختفية عن عيون الناس.

ثم أقام ابن الأرملة على باب المدينة. وكثيرون منا خطاياهم على الباب تُرى في أيديهم، وتُسمع من ألسنتهم. والمسيح يريد أن يقيمنا حتى لو كانت خطايانا ظاهرة للجميع.

وأقام لعازر بعد أن أنتن في قبره أربعة أيام (يوحنا 11). وكثيرون بقوا في خطاياهم مدة طويلة حتى أنتنوا، والمسيح مستعد أن يقيمهم من هلاك الموت بقوته العظيمة ليعطيهم الحياة.

والمسيح يريد أن يقيمنا معه ويعطينا الحياة الأبدية مهما كانت حالة موانتا الروحي. فلنطلب منه لأنه رب الحياة.

وإن كنا قد نلنا منه نعمة الحياة، فلنطلب من أجل شخصٍ آخر ميت في خطاياه حتى يحييه الرب. ولنصلِّ لتحيا كنيسته مشرقة بنور يضيء على كل العالم لمجد اسمه، وليأت ملكوته.

صلاة

أبانا السماوي، أشكرك لأن رحمة المسيح وصلتني في عمق شقائي، وأدركتني في هوة بلائي، فرفعتني وأعادت لي الأمل، ولمستني فبعثت في نفسي الشجاعة. افتح قلبي أكثر ليتَّسع للمزيد من سلامك، وتقبَّل مني كل حياتي المعترفة بفضلك. باسم المسيح آمين.

أسئلة

1- قارن بين إقامة أليشع ابن المرأة الشونمية، وإقامة المسيح ابن أرملة نايين؟

2- في يوحنا 5: 24-29 تحدث المسيح عن ساعة «وهي الآن» وساعة تأتي مستقبلاً. ماذا سيحدث في الساعتين؟

3- لماذا اختار المسيح ابن أرملة نايين ليقيمه؟

4- كانت صدمة الأرملة مزدوجة، كيف؟

5- لماذا وقف حاملو النعش لما أمرهم المسيح بالوقوف؟

6- ما معنى «افتقد الله شعبه»

7- اذكر اختباراً من واقع حياتك افتقدك الله به.